

مَجَلـة شَهـريَّــة اسْلاميَّــة أَدبيَّــة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٢)	رجب المرجب ١٤٣١ ھ
العدد السابع	يوليو ٢٠١٠ م

المشـرف العام — **عبـد اللّٰه سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صــوت الأمـــــة** بی ۱ / ۱۸ جی، ریوری تالاب، بنارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التالیف والترجمة، ریوری تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ــ ٥٤٢ ــ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

مظاهر الشرك ومسؤولية الدعاة

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

في حديث لي مع أحد المهتدين الجدد إلى الإسلام سألته عن قصة اعتناقه هذا الدين، وكان هذا الأخ وهو هندي الجنسية يعتنق الهندوسية الوثنية القائمة على عقيدة تعدد الآلهة، فحكى لي قصة إسلامه ما ملخصها أنه قبل نحو 15 سنة ذهب إلى المملكة العربية السعودية للعمل، وبعد مضي عدة أشهر سأل من حوله من الناس: هل يوجد المسلمون هنا؟ فأجابوه بأن سكان هذه البلاد كلهم مسلمون، فأعاد عليهم السؤال مستغربا متعجبا: أين هم؟ لماذا لا أراهم؟ إنني رأيت المسلمين في بلادي، ورأيت مظاهرهم الإسلامية، إن المسلمين –كما أعرفهم –هم الذين يذهبون إلى المزارات والأضرحة والمقابر والمشاهد، ويقيمون الأعياد عليها، ويستغيثون بالمقبورين، ويستمدون منهم، ويطوفون حول القبور، ويركعون ويسجدون لها، إلى آخر ما أراهم يعملون هناك، فلماذا لا أرى المسلمين المماثلين لهم هنا؟ ولماذا لا أرى تلك المظاهر والتصرفات؟ فقالوا له:إن الإسلام هو دين التوحيد، والمسلمون يعبدون الله الواحد الأحد الصمد، ولا يعبدون معه آلهة أخرى، فقال: إننا – نحن الهندوس – أيضا ندعي بأن الإله واحد، ثم نعبد الألوف المؤلفة من المعبودات، إننا نذهب إلى آلهتنا في معابدنا، ونعبدها ونكن لها التقدير والاحترام، والمسلمون يذهبون إلى مزاراتهم ومشاهدهم ويدعون المقبورين ويستمدون منهم، فلا أرى كبير فرق بين ديانتي وديانة المسلمين، وبين عقيدتي وعقيدة المسلمين. ولما أخبروه بأن الإسلام الحقيقي لا يقر بهذا الوضع، وأنه يدعو إلى التوحيد الخالص، وعبادة الله الواحد، ويعتبرهذه المظاهر مظاهر شرك تصادم تمام المصادمة مع عقيدة التوحيد الذي يرضاه الله، وأن سكان هذه البلاد أهل التوحيد الخالص يبتعدون عن جميع أنواع الشرك ومظاهره ... لما شرحوا له حقيقة الإسلام وطبيعته ومتطلباته حدث في نفسه رغبة إلى معرفة أكثر عن هذا الدين وتعاليمه وخصائصه، وبعد قضاء فترة غير طويلة مع مراجعة بعض مكاتب الدعوة ومكاتب توعية الجاليات هناك انشرح صدره للإسلام، وأخرجه الله من الظلمات إلى النور، وهو يواصل جهده من نحو 15 سنة في التعريف بالإسلام بين أقربائه ومعارفه وعامة الناس من بلاده، وقد تشرف عديد من أقربائه وأهل ديانته السابقة بالإسلام على يديه، ولله الحمد والمنة.

والذي يلفت انتباه هذا الكاتب من هذه القصة – وهو أيضا يلفت انتباه جميع المسلمين المدركين لحقيقة الإسلام وطبيعته – هو ما ذكره هذا الأخ من انطباعاته عن الإسلام والمسلمين، تلك الانطباعات التي تكونت لديه من تعايشه مع مسلمي منطقته وبلاده، ومشاهداته المتكررة لمظاهر تدينهم وطرق تعبدهم. والمطلعون على أحوال المسلمين في شبه القارة الهندية وكثير من البلدان لا يشكون في صحة معروضاته، ولا يرون فيها أي مبالغة أو تكبير، بل الواقع ربما يكون أكثر باعثا على الحيرة والأسف، وأكثر إيلاما للغيورين على دين الله.

قوموا بالتجول – إذا كنتم مترددين في صحة الادعاء المذكور – في أحياء المسلمين وحاراتهم في البلاد التي يسكنون فيها مع غيرهم من معتنقي الديانات الأخرى، وكذلك تجولوا في الأقطار والمدن التي غالبية أهلها مسلمون في البلدان الإسلامية تجدون تصديق كل ذلك، وتشاهدون بأم أعينكم تلك المشاهد والمزارات تتخلل مساكن المسلمين، وهي مزينة بأحدث وسائل التزيين، والقبر الموجود فيها – سواء كان قبرا بلا مقبور أو بمقبور – مرتفع مشيد مرصوف حواشيه بأفخر أنواع الرخام، والقبر مغطى بالستور وبالأكسية المزركشة الملونة، والموضع كله محاط بعناية واهتمام بالغين، يتردد إليه الزوار – رجالا ونساء – ويقفون بين يدي القبر بغاية الخضوع والانكسار والانحناء، وقد يبكون أو يتباكون أيضا، ينادون صاحب القبر لحاجاتهم، ويستغيثون به، ويرددون كلمات مشتملة على محض الشرك، ويطلبون منه ما لا يطلب إلا من الله، إلى غير ذلك من الأعمال المفضية إلى الشرك.

ثم إنه تقام في هذه المشاهد والمزارات أعياد بين حين وآخر باسم "الأعراس" وحينذاك تتضاعف المنكرات والضلالات هناك، وتعمل شياطين الإنس والجن بكل جد ونشاط لإضلال الناس رجالا ونساء، ليلا ونهارا، كل ذلك باسم الدين، وباسم الشرع، وباعتباره عبادة وقربة يتقربون بها – في زعمهم – إلى الله تعالى، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، والمشاهدون لهم من غير المسلمين بل ومن المسلمين أيضا يظنون أن ما يفعلونه هو الإسلام ومطلوب الإسلام وعبادات الإسلام، ومظاهر التدين في الإسلام، ومن ثم كان الهندوسي الوثني المشرك لا يجد كبير فرق بين عقيدته وعمله وعقيدة هؤلاء المسلمين وأعمالهم، ولذلك نرى أن كثيرا من هؤلاء الوثنين يترددون على هذه المشاهد والأضرحة ويشاركون في أعيادها وأعراسها ويمارسون الأعمال والطقوس التي يمارسها المسلمون هنا، وهذا المشهد الذي يجمع المشرك والمسلم يعجب كثيرا من المثقفين المنخدعين فيثنون عليه ويمتلئون به فرحا وسعادة، ويعبرون عنه بالوحدة الإنسانية المنشودة، ويباركونه ويشجعون الناس عليه.

كل هذا وذاك جهل بالدين وبحقيقته لدى هؤلاء وأولئك، فالتوحيد وإفراد الله تعالى بالعبادة هو أساس الدين وأصل الشرع، أرسل لأجله الرسل ونزلت به الكتب، لا يجحد ذلك إلا مكابر، ولا ينكره إلا معاند، ولا يغفل عنه إلا جاهل، فنصوص القرآن والسنة متوافرة متضافرة لبيان هذه الحقيقة، وعلماء الإسلام وأعلامه مجمعون على اعتبار التوحيد اساس الدين وأصل الشرع المتين، وعلى نبذ كل يخالفه ويضاده من قول أو فعل أو عادة أو تقليد، والناظر في أمر هؤلاء المنغمسين في أوحال البدع والشرك أن الجهل من أكبر الأسباب المفضية إلى هذا الوضع المؤسف، نعم، إنهم يجهلون تعاليم الكتاب والسنة بل يبعدون عنها من سادتهم وكبرائهم، وكل ما يقدم أمامهم باسم الدين وباسم الشرع لا علاقة له — في الأكثر — بخالق هذا الكون وبقدرته وعظمته وباستحقاقه العبودية المطلقة الخالصة من جميع شوائب الشرك، وإنما علاقته بالشخصيات وبما يسمون "أولياء الله" وقدرتهم الخارقة وتصرفاتهم حتى بعد الموت وبعظم مكانتهم عند الله، وبقصص كراماتهم وخوارقهم، وبذلك ينشأ الناس مملوءة العواطف بتعظيم أرباب المشاهد والقبور، وبالإيمان بقدرتهم اللامحدودة، وبأن كل نفع وضر إنما هو بأيديهم، وصدق الله العظيم القائل (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون — الزمر: **45**).

إن الدعاة إلى الله تعالى مطالبون أكثر من أي وقت مضى بالنهوض لصيانة التوحيد وحماية العقيدة الصافية وسد كل الذرائع المفضية إلى الشرك والباطل بكل ما لديهم من الوسائل والأساليب، ومن أهمها تعليم الناس لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهما منبع كل خير، ومصدر كل نور، ومرجع كل هداية وملاذ كل حي "تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله".

فالقرآن الكريم بآياته وسوره وكلماته وحروفه يكرر بيان منزلة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته، وأنه أكبر من كل ما سواه، وأنه على كل شيء قدير، وأنه فعال لما يريد، وأنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، بيده الملك، وبيده الخير، لا رادّ لفضله، ولا معقب لحكمه، هو الرزاق ذو القوة المتين، يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما، والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير.

إلى غير ذلك من صفاته ومظاهر قدرته ومظاهر عجز المعبودين من دونه، والمؤمن حين يمر بهذه الآيات المشتملة على ذكر الخالق جل وعلا وصفاته يمتلئ قلبه تعظيما وإكبارا لخالقه، ويزداد تعلقه به وتوكله عليه وثقته به وتضرعه وإنابته إليه، ويتقوى إيمانه به، وحين ذلك يسعى لأداء واجبه عليه من حق العبادة الخالصة والإنابة المطلقة، ولا يخلط حقه بحق الآدميين، ولا يتوجه إلى أحد من الخلق سواء كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو وليا صالحا بما يتوجه به إلى الباري جل وعلا .

وكذلك الأحاديث النبوية الثابتة فيها دعوة إلى التوحيد الخالص وبيان عظمة الله جل وعلا، وحقه على العباد، والنهي عن الإطراء والغلو والمبالغة في حق المخلوق من الملائكة المقربين والنبيين المرسلين والأولياء الصالحين، إلى غير ذلك من التعليمات المتعلقة بالدين والدنيا والآخرة. فقراءة هذه الأحاديث النبوية على مسامع الناس وشرح معانيها لهم يسهل لهم إدراك حقيقة هذا الدين ودعوته، ويوضح لهم الخط الفاصل بين الخالق والمخلوق، وما لكل منهما من الحقوق.

إننا نعيش في عصر أصبح للعلم فيه مكانته ومنزلته، وقد تطورت وسائل العلم والتعليم، وانتشرت المؤسسات التعليمية في المدن والقرى، وتبدد ظلام الجهل والأمية والغفلة، وأصبح الناس يميزن بين الحقائق والأوهام، ويقيسون الأشياء بمقاييس ثابتة، ويرغبون في معرفة الحق والإذعان إليه، ويبدون عدم ارتياحهم بالحكايات الخيالية والقصص المبالغ فيها، التي يدور حولها أحاديث بعض الوعاظ والقصاص، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله:

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب – الرعد: **28**).

فالله الله يا دعاة الإسلام! تدارسوا وضع المسلمين ووضع العالم بجد وجدية، وأعيدوا ترتيب الأولويات، وابدأوا بما بدأ الله به، وأعطوا كل ذي حق حقه، واجعلوا كلام الله إمامكم، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم قدوتكم، ومنهج الصحابة والسلف الصالح منهجكم، ولا تكن دعوتكم إلا إلى الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.

* * *

سمو الإسلام

ويسفك الدماء . . . . .

الدكتور مقتدى حسن الأزهري رحمه الله

إن الإسلام – بما أنه دين إلهي وهداية ربانية – يمتاز بكثير من المزايا والخصائص ويتبوأ لأجلها مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة بين الأديان الأخرى. وهذه المزايا قد اعترف بها حتى الأعداء وحاولوا الاستفادة منها والانتساب إليها ولو بعد تغيير الاسم ومحاولة إخفاء الحقيقة، حتى لا ينكشفوا أمام العامة، ولا يلحقهم العار لدى مشاركيهم في الدين في تقليد دين قد عرفوا بالعداوة له والكيد ضده. وذلك يدل – بدون ريب – على أن الإسلام دين رباني جاء لهداية الإنسانية الحائرة المسكينة إذا اشتدت الحاجة إليه وشعر العالم كله بفراغ رهيب في المجال الروحي والتوجيه الديني السليم. وكذلك يدل على أن تعاليم الإسلام كانت ناجحة في تقديم الحلول للمشاكل العامة التي كانت الإنسانية تعانيها وقتذاك. وكانت هذه التعاليم قد تركت آثارا طيبة حتى في نفوس الأشخاص الذين لا يؤمنون بكونه دينا حقا وهداية سماوية. وكان هذا هو السبب لما نراه ونقرأه في كتب التاريخ والتراجم من إقبال الناس على هذا الدين القيم ودخولهم فيه أفواجا مع معرفتهم أن ذلك قد يجرهم إلى ما يضرهم ماديا ويؤذيهم ويلحق بهم الخسائر في الأموال والأنفس.

وميزة الإسلام هذه تتجلى في جميع تعاليمه وأحكامه، ويتيقن الناظر في الكتاب والسنة – إذا تجرد من التعصب والهوى – بأنه أمام هداية ربانية ونظام إلهي شامل يعجز الفكر الإنساني أن يأتي بمثله، أو يغيره بما هو خير منه.

وعلى سبيل المثال نذكر موقف الإسلام من الإنسانية وأحكامه العامة التي سنها حيال أمة الدعوة .

ولعل كلامنا في عددي المجلة السابقين [1] يتكفل بإلقاء ضوء كاف على موقف الإسلام هذا، وما هي الرسالة التي تحملها الإنسان إذا استقر في أرض الله يتمتع بنعمها ويتفسح في أرجائها؟ وما هي الوسائل التي تساعده في أداء هذه المسئولية العظيمة والرسالة المقدسة ؟

وموضوع اليوم – وهو موقف الإسلام من الإنسانية – لا يختلف عن أخويه في الكثير، بل له صلة وارتباط بهما. والكلام عليه قد يؤدي إلى حل كثير من المشاكل التي تكلمنا عليها

---

[1] يشير إلى عدد المجلة لجمادى الأولى 1392 هـ ولشعبان 1392 هـ (المجلة).

في السابق، ويؤيد ما نرى من أن الإنسان — في نظر الإسلام — له حقوقه وعليه واجباته منذ أن استكمل مشاعره وبلغ رشده، مهما كانت ديانته وجنسيته، وكيفما كانت ظروفه وأحواله.

ونحن في موضوع اليوم لا نستطيع الإحاطة بكل ما يتعلق بالموضوع والكلام على جميع النواحي التي يتضمنها، فإن ذلك يحتاج إلى أسفار طويلة، بل يهمنا منه ناحية واحدة وهي ناحية الكرامة الإنسانية ومحافظة الإسلام على النفوس البشرية. وللإسلام في هذا الباب فضل كبير ودور مهم جدا، فالنصوص القرآنية تصرح بأن الإنسان خليفة في الأرض، وأن الله تعالى سخر له ما في الكون وجعله تحت سلطانه، وفي قدرته، وأن الله تعالى أعطاه الاستعداد للعلم بكل شيء في الكون، وبين للملائكة أنهم لم يؤتوا علم هذا الإنسان الذي اختاره خليفة في الأرض، ولهذا أمرهم بالسجود لآدم أبي الخليقة الإنسانية.

ويدل هذا على كرامة الإنسان منذ خلق في هذا الكون، فقد خلق ليسوده ويسيطر عليه. وقد صرح القرآن بهذا التكريم الإنساني في آيات كثيرة، منها ما جاء بصريح اللفظ في سورة الإسراء، يقول تبارك وتعالى: (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا).

والإسلام في تكريمه هذا للإنسان لا يفرق بين عنصر وعنصر، وجنس وجنس، بل يؤكد أن الجميع سواء في حق التكريم، وإلى هذا يهدي قول النبي صلى الله عليه وسلم: كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

فالكرامة الإنسانية يقررها القرآن والسنة لكل من يتحقق فيه معنى الإنسانية، ولا عبرة في ذلك بالألوان والأجناس. وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم التفرقة في المعاملة بسبب الألوان وصرح بذلك، وشدد النكير على من يعمل على هذه التفرقة، ويروى في ذلك أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عير آخر بسواد أمه، فقال له: يا ابن السوداء، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال: لقد طف الكيل، لقط طف الكيل، لقد طف الكيل، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل. ولا فرق بين دين ودين في تكريم الإنسان حيا أو ميتا.

وقال عليه السلام في محاربة التفرقة: الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا، والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا.

وكما أن الإسلام حارب فكرة التمييز بالألوان، حارب التمييز بالعنصر والجنس، فالناس جميعا لآدم، لا فرق بين آري وحامي وسامي، بل الجميع ينتمون إلى أب واحد، وأم واحدة، وليس هناك عنصر اختص بصفات لا يختص بها الآخر، فلا داعي إذن للتفرقة في المعاملة وتفضيل عنصر أو جنس على الآخر.

وكذلك يحارب الإسلام العصبية القومية والإقليمية، ليكون العدل هو السائد ولكي تكون المودة بين الناس وفي كل بقاع المعمورة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية". فالنبي صلى الله عليه وسلم برئ من كل تعصب إقليمي أو قومي، وليس من الإيمان أن يتعصب المؤمن لقومه أو وطنه تعصبا يؤدي إلى الظلم.

ولتحقيق المساواة العامة بين الناس قد حث القرآن على التعاون الإنساني فهو مبدأ عام في كل الجماعات الإنسانية، ينبغي أن يتمسك به من الناس كل من يهمه صلاح بني جنسه: "تعاونوا على لبر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان". عسى أن يكون هذا التعاون الإنساني لبنة صالحة للتعاون الدولي، وترتبط به الإنسانية كلها برباط واحد وثيق لا انفصام له، وقد نرى أن الرسول عليه السلام نفذ مبدأ التعاون الدولي، عند ما جاء إلى المدينة فعقد مع اليهود حلفا أساسه التعاون على البر، وحماية الفضيلة، ومنع الأذى، وكان أساس هذا التعاون أن يتضافروا على دفع الاعتداء وإقامة الحق، أو بعبارة أخرى ما يسمى في هذا العصر "بالتعايش السلمي".

والنبي عليه السلام يحث على هذا التعاون، فيعلن أن الله يمد بالقوة كل من يعاون أخاه الإنساني في أي إقليم وفي أي موطن، وذلك في قوله عليه السلام: "الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه". ولم يعين ذلك الأخ بل عممه، فيعم الأخوة الإنسانية، ولا يقتصر على الأخوة الدينية أو الإقليمية. وحياة الرسول عليه الصلاة والسلام تقدم لنا نماذج رائعة لهذا التعاون قل أن رأت عيون العالم أحسن منها.

وبعد مبدأ التعاون الإنساني نرى أن الإسلام يدعو إلى التسامح والصفح الجميل والدفع بالتي هي أحسن، فإنه يجلب المحبة ويبدل العدو وليا، يقول الله تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم). ويقول: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين).

فالتسامح والصفح الجميل هو السياسة الإسلامية التي رسمتها النبوة في العلاقة بين الناس بعضهم مع البعض، وخصوصا بين المسلمين وغيرهم، ونرى هذه السياسة مطبقة في علاقات النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين وغيرهم في معاهداته وفي حروبه.

وأبرز مثال لهذا التسامح ما وقع في صلح الحديبية، وهو الصلح الذي عقد بين النبي عليه السلام وبين المشركين عند ما أراد أن يحج فمنعوه وأبوا أن يدخل البيت الحرام، وقد كان أساس هذا الصلح شططا من جانب المشركين، ولكن الحكمة النبوية السامية قد آثرت الصبر والسماحة فحقنت الدماء التي كانت توشك أن تراق.

ومحافظة على الكرامة الإنسانية سن الإسلام مبدأ حرية التدين واحترام العقيدة احتراما كاملا، فالقرآن ينفي أن يكون الإكراه طريقا للدين، ومنع المؤمنين من أن يكرهوا أحدا على الدين، يقول: (لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي).

ثم إن الإسلام عمل على حماية عقيدة الذين يستظلون بظله، أو يعقدون معه عهدا أولا يثيرون عليه حربا، بل إنه سهل لهم القيام بشعائر دينهم، وقد قرر فقهاء المسلمين قاعدة تقول: "أمرنا بتركهم وما يدينون". وبهذه القاعدة المجمع عليها من فقهاء المسلمين حميت حرية العقيدة في ظل الإسلام، فلا يضار غير المسلم فيما يعتقد، ويقيم شعائره الدينية حرا غير مضطرب.

ويروى في ذلك أن الخليفة العادل عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ذهب ليعقد معاهدة السلام والأمن مع القائمين على إيليا، وفي هذه الرحلة المباركة حضر وقت الصلاة، وهو بجوار كنيسة بيت المقدس فصلى خارجها، فقيل ألا تجوز الصلاة فيها؟ فقال الحاكم الحكيم العادل: "خشيت أن أصلي فيها، فيزيلها المسلمون من بعدي ويتخذوها مسجدا". فأي حماية للحرية الدينية أقوى من هذه، وأي تسهيل لأداء العبادات لغير المسلمين أكرم من هذا.

ودعما للأخوة الإنسانية أمر الله تعالى بأن توصل القلوب بالمودة، وبمعاملة البر والإحسان مع المسلم وغيره. وإن الموصلة لا يقطعها الحرب ولا الاختلاف، وإنه يروى أنه في مدة الحديبية بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشا أصابتهم جائحة، فأرسل مع حاطب ابن أبي بلتعة إلى أبي سفيان خمسمائة دينار ليشترى بها قمحا، ويوزعها على فقراء قريش.

وهكذا نجد الإسلام يعتبر الرحمة والمودة قائمة حتى في حال الحرب. ويحمي النفوس البشرية من الضياع والهلاك. ومن المؤكد أن جميع المحاولات ستذهب سدى إذا أردنا — في هذا العصر المتنور — أن نجد مثالا لهذا التسامي والعلو، مع ما نرى ونسمع من الصرخات العالية والدعاوي الخلابة لإسعاد الإنسانية ونشر السلام والرخاء في العالم.

وللرحمة العامة بالإنسانية، ولتحقق الخلافة الإنسانية في هذه الأرض منع الإسلام من الفساد فيها، ودعا إلى تعاون الإنسانية على إصلاحها وعمل على حماية كل ما هو مصلحة مقررة ثابتة، وإن فقهاء المسلمين يرجعون المصالح الإنسانية إلى المحافظة على خمسة أمور:

أولها المحافظة على النفس الإنسانية وحمايتها، ويتبع المحافظة على النفس المحافظة على الكرامة، وعلى الحرية وغيرها من مقومات الشخصية الإنسانية.

وثانيها المحافظة على الدين، بأن تحمى الحقائق الدينية ممن يتعرض لها بالطعن. ويتبع المحافظة على الدين المحافظة على حرية التدين، وحماية الشعائر الدينية، وألا

يتطاول أهل دين على دين آخر بالأذى، وأن لا يقع الاعتداء على الذين لا يدينون بالإسلام من رعايا الدول الإسلامية.

وثالثها المحافظة على النسل، فحرم الإسلام الزنا، وعمل على منع إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وإن هذا النوع من الحماية يكون على رعايا الدولة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين.

ورابعها المحافة على العقل، بمنع كل أمر يستر العقل كالخمر والحشيش ونحوهما مما يفسد العقول ويمنعها من الإدراك السليم.

وخامسها المحافظة على المال، وهذا النوع من المحافظة يعم رعايا المسلمين ورعايا غيرهم، فإتلافه لا يجوز في الأرض الإسلامية وغيرها، لأن إفساد خيرات الأرض يتجافى عن خلافة الإنسان في هذه الأرض، بعد أن سخر الله تعالى للإنسان ما في جوفها وما في سمائها.

ومبدأ احترام الإسلام للكرامة الإنسانية يتجلى في أحكامه التي سنها تجاه الحرب والمحاربين. والحرب في الإسلام أمر مبغض قد تقتضيه الرحمة الإنسانية ذاتها، فإن ترك الطغيان يتحكم في الضعفاء لا يعد ذلك من الرحمة في شيء ، والرحمة الحقيقية توجب دفع الطغيان ومنع الظالمين المعتدين. والحرب في الإسلام ضرورة أوجبها قانون الرحمة العادل وقانون الأخلاق والسلوك الإنساني المستقيم.

ولكن الإسلام — دين الرحمة والعدالة — في هذه الساعات الحرجة يمنع الاعتداء ويأمر بمداواة النفوس المكلومة والرفق بها، وبين أيدينا وصية لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين يخرجون للجهاد تقول: (انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا امرأة، ولا تغلوا وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين).

وكذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والشيوخ الذين لا يشتركون في القتال برأيهم، وعن قتل الأطفال، لأن هؤلاء ضعفاء لا يقتلون ولا يشتركون في القتال، ولقد مر النبي صلى الله عليه وسلم على القتلى فرأى امرأة مقتولة فقال عليه السلام: (ما كانت هذه لتقاتل). وأرسل وراء خالد بن الوليد يأمره بألا يقتل عسيفا ولا ذرية.

ولقد كان يغضب أشد الغضب إذا بلغه أن جنده قتلوا صبيانا، ولقد بلغه قتل بعض الأطفال، فوقف يقول لجنده: "ما بال أقوام تجاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية، ألا لا تقتلوا الذرية، ألا لا تقلوا الذرية، ألا لا تقتلوا الذرية".

هذا هو موقف الإسلام تجاه الإنسانية، وهذه هي تعاليمه التي جاء بها رسوله الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وبالمؤمنين رءوفا رحيما. وما أحوج العالم الإنساني اليوم إلى هذه التعاليم السمحة والهداية الربانية العادلة، للقضاء على أنواع الظلم والاضطهاد ولمداواة

النفوس البائسة التي تتعرض للفساد والتخريب، وتعاني المصائب والبلايا في المجتمعات الظالمة التي تنادي بالديموقراطية والعدالة، وتردد كلمات الحرية والمساواة والتقدم في المجالس الدولية.

إن القتال والحرب ووقوع الظلم والاعتداء من الأقوياء على الضعفاء أمر طبيعي، ونزعة في الإنسان قد جبل عليها. وإلى هذا يشير جواب الملائكة في قوله عز وجل: (وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال: إني أعلم ما لا تعلمون).

ولعل الملائكة عرفوا خلقة الإنسان، وعرفوا أنه مركب من الأخلاط الأربعة فلابدوأن تتركب فيه الشهوة والغضب فيتولد الفساد من الشهوة، وسفك الدماء من الغضب.

ولكن ليس معنى ذلك أن نترك الطغاة الظالمين وما يفعلون، ولا نفرض عليهم ما يقومهم وينقذ المجتمع الإنساني من ويلاتهم، فإن ذلك قد يؤدي إلى فساد كبير وخراب العمران البشري. ونظرة عابرة على ما يجري الآن في العالم تكفي لمعرفة الظلم والاضطهاد الذي انتشر في المجتمع الإنساني وسانده أهل الأهواء والبغاة. والعجب من أصحاب السيطرة والحكومات التي تقع هذه المظالم في ظلها، كيف لا تقدر على منع الظالمين وقمع المعتدين! إن نفسا واحدة لها قيمة كبيرة وكرامة عظيمة، والتقصير في حمايتها أو تركها حسب إرادة المفسدين الظالمين جناية ليس بعدها جناية، وإهمال قبيح للسلطة والنظام: (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا).

ثم الأسف على أن الذين يتعرضون لأنواع الظلم والاضطهاد في العالم كله معظمهم من أهل الإسلام، وهو الدين الذي دعا قبل غيره إلى حماية النفوس الإنسانية واحترام الكرامة البشرية، ولعل ميزته هذه هي التي أغاظت عداة البشرية ودعاة الشر فوقفوا له بالمرصاد، وتجمعوا لكسر شوكته ومنع انتشاره.

ولكن الأيام يداولها الله بين الناس، والظلم مرتعه وخيم، والضعفاء المضطهدون — في كل مكان — سيكون لهم يوم. فالويل للأشخاص الظالمين، وللمجتمعات وللحكومات الظالمة ولحماة الظلم كلهم: و "لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار".

(صوت الجامعة: ذو القعدة **1392** هـ = ديسمبر **1972** م)

* * *

تفنيد المزاعم:

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(11)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

9 – قال الشيخ عداب في (ص **310**): وتتبعت رواياته (أي روايات إبراهيم بن محمد ابن الحنفية) في كتب السنة فلم أجد له سوى هذا الحديث الواحد، وكرر القول في (ص **311**): إن هذا الحديث لا يعرف إلا من هذا الطريق أو بهذا الإسناد. وهذا الإسناد منه راويان شبه مجهولين، لم يرويا في كتب السنة كلها إلا هذا الحديث".

هكذا يقول الشيخ ولعله يظن أن تكرار الخطأ يحوله إلى صواب وقد ذكر هو نفسه قبل هذا الكلام ان المزي ذكر له خمسة رواة وترجمه أبو الشيخ في الطبقات ونص على أن يعقوب القمي روى عنه. قلت: وأخرج أبوالشيخ في الموضع نفسه رواية عن طريق حماد بن عبد الرحمن عن إبراهيم هذا وكان المفروض ان يطلع الشيخ عداب عليها.

فهؤلاء ستة يروون عنه باعتراف الشيخ نفسه، ومع ذلك يزعم الشيخ أنه ليس له في كتب السنة كلها سوى هذا الحديث (أي حديثه في المهدي) وصرح أكثر من مرة أنه لا يوجد لهذا الحديث سوى هذا الإسناد، فما الذي رواه الخمسة الآخرون؟ هل كلهم رووا عنه هذا الحديث فأصبح متواترا عنه على تعريف الشيخ للمتواتر، وبطل قوله إنه لم يروه عنه سوى ياسين العجلي، وإن قال إنهم رووا عنه حديثا آخر، أو أحاديث أخرى بطل قوله إنه لا يوجد له في كتب السنة كلها سوى هذا الحديث.

ثم إن المزي نفسه قال في ترجمته: "روى له الترمذي والنسائي في مسند علي، وابن ماجه وتهذيب الكمال (2 / **183**) مع العلم بأن حديثه في المهدي تفرد به ابن ماجه من بين هذه الكتب.

هذا على الرغم من أن روايته في طواف القارن أخرجها أبو الشيخ في طبقات أصبهان. وقد اطلع عليه الشيخ عداب وأحال إليه، وذكر محققه أن الزيلعي أيضا قال: أخرجه النسائي في مسند علي (وهو في نصب الراية **3** / **110**) (ينظر طبقات أصبهان بتحقيق الدكتور عبدالغفور البلوشي **1** / **379**) ومع ذلك يصر الشيخ عداب أنه ليس له في كتب السنة سوى

حديثه في المهد، هل يسمح لي الشيخ أن أعيد إليه قوله "أرأيت علما أشبه بجهل من هذا" وهل يليق بمن لا يفقه هذه العبارات الواضحة في كتب الأئمة أن يدعى لنفسه "فقه الجرح والتعديل".

أما حديثه في جامع الترمذي فهو في أبواب المناقب، ما جاء في صفة النبي صلى الله عليه وسلم. (حديث: 3638) عن طريق عمر بن عبد الله مولى غفرة قال: حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب قال: كان علي إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس بالطويل المُمَغِّط ولا بالقصير المتردّد الحديث.

وذكر محققه الدكتور بشار عواد معروف أن الحديث أخرجه أيضا ابن سعد (1 / 411) وابن أبي شيبة 11 / 512، والترمذي في الشمائل 7، 19، 124، والبيهقي في الدلائل 1 / 269، والبغوي 3650 .

قلت: والحديث في الشمائل للترمذي (بتحقيق محمد عفيف الزعبي برقم 6 ثم ساق إسناده وطرفا من متنه في موضعين آخرين أيضا برقم 18، ثم برقم 117 .

والغريب أن الشيخ عداب له كتاب أيضا عن "الإمام الترمذي وكتابه الجامع" في مجلدات، فإن كان الشيخ يعجز عن إخراج حديث أو ترجمة راوٍ من الكتب التي تخصص في دراستها، فما قيمة ادعاءاته حينما ينفي وجود أي رواية أخرى له ويقول "وقد تتبعت رواياته في كتب السنة فلم أجد له سوى هذا الحديث الواحد" (ص 310)، وليسمح لي الشيخ أن أهدى إليه قوله: "أرأيت علما أشبه بجهل من هذا"؟

على أن الشيخ عداب وقبل كلامه هذا بسطرين فقط (ص 309) ذكر "أن أبا الشيخ ترجم له (أي لإبراهيم بن محمد ابن الحنفية) في الطبقات، ونص على أن يعقوب القمي روى عنه وساق هذا الحديث في ترجمته".

قلت: وهذا الموضع قد اطلع عليه الشيخ عداب وأحال إليه تعليقا في كتابه (ص 309)، وأبوالشيخ قال في ترجمته: "وله أحاديث" وساق قولا له ثم حديثين آخرين أحدهما حديثه في المهدي هذا، فهل خفي كل هذا على الشيخ حتى يزعم أنه لم يجد له في كتب السنة إلا هذا الحديث الواحد.

10 – قال الشيخ عداب في صدد ذكره إبراهيم بن محمد ابن الحنفية: "ونص السيوطي في تعليقاته على سنن ابن ماجه أن له رواية عند النسائي في طواف القارن ولم أقف عليها عند النسائي.

قلت: وقبل السيوطي نص المزي في ترجمته في تهذيب الكمال أنه روى عنه النسائي في "مسند علي"،وعزا الزيلعي هذا الحديث نفسه في طواف القارن إلى مسند علي للنسائي في السنن الكبرى (نصب الراية 3 / 110) ولكن الحديث نفسه أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان 1 / 379 ، والشيخ عداب رجع إلى هذا الموضع وأحال إليه كما سبق، ولكنه بسبب تسرعه وقلة استيعابه لما يقرأ لم يلاحظ هذا الحديث.

وحديثه في طواف القارن – الذي وصل إلى موضعه الشيخ عداب في طبقات المحدثين بأصبهان، ومع ذلك يدعى أنه لم ير لإبراهيم في كتب السنة سوى حديثه في المهدي – هو ما رواه أبو الشيخ قال: حدثنا سلم بن عصام، قال: ثنا بشر بن آدم، قال: ثنا عبد الله بن رجاء، قال: ثنا إسرائيل، عن حماد بن عبد الرحمن، عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية قال: طفت مع أبي محمد وقد جمع بين الحج والعمرة وطاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين، وحدثني أن عليا فعل ذلك، وحدثه علي أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك (1 / 378 ، حديث 58)

وعلى الرغم من كل هذا يظل الشيخ عداب يصر – على طريقة "معزة ولو طارت" – بأن إبراهيم بن محمد بن الحنفية ليس له إلا حديث واحد، وهوحديثه في المهدي:

أ – قال في ص 310، س 1: "وقد تتبعت رواياته في كتب السنة فلم أجد له سوى هذا الحديث الواحد". ثم أشار إلى روايته في طواف القارن "وقال لم أقف عليها عند النسائي" وأخشى أن الشيخ يراوغ هنا بقوله "عند النسائي" لأنه اطلع عليها عند أبي الشيخ في الطبقات.

ب – قال بعده بسطر واحد (ص 310، س 5) "وليس له سوى هذا الحديث الواحد".

ج – قال في (ص 310 نفسها، س: 20): "لأن الرجل الذي لا يعرف إلا بحديث واحد الخ".

د – قال في (ص 311، س 9 – 10): "وهذا الحديث لا يعرف إلا بهذا الإسناد وهذا الراوي ليس له سوى هذا الحديث الواحد".

هـ – قال في (ص 311، س 12 – 13): "وهذا الإسناد فيه راويان شبه مجهولين لم يرويا في كتب السنة كلها سوى هذا الحديث ....".

فهذه خمسة مواضع في صفحتين اثنتين كرر فيها الشيخ قوله الخطأ أن إبراهيم بن محمد بن الحنفية ليس له سوى حديثه الواحد في المهدي. ولكن الخطأ من الشيخ عداب لأنه

أغمض عينيه عن أقوال الأئمة الذين أشاروا إلى أحاديث أخرى له، ليتمكن الشيخ من الإصرار على خطئه مع أنه يعرف أن تكرار الخطأ لا يحوله صوابا، سامحه الله.

وإذا كان الشيخ لا يتمكن من تضعيف جميع أحاديث المهدي إلا بهذه الطرق الملتوية والوسائل المعوجة، فهذا خير دليل على أن في المهدي أحاديث صحيحة وصالحة يحتج بها كما نص عليه العلماء منذ قرون ولا يزالون.

11 – قال الشيخ عباد (ص 310) في صدد ذكره إبراهيم بن محمد بن الحنفية نفسه: "وقول ابن حجر (صدوق) بناء على أن الرجل لم يجرح وقد وثقه حافظ كالعجلي، وليس له سوى هذا الحديث المقبول في نظر الحافظ فصار بذلك صدوقا، ولا ريب أن مثل هذا الرجل مجهول الحال وليس بثقة ولا صدوق".

قلت: وهذه الفقرة تشتمل على شيء من الصواب من كلام الشيخ عباد ولكنه سوف يناقضه بعد قليل، وعلى كثير من الأخطاء العلمية التي لا تليق بطالب الحديث. وأرجو من القارئ الكريم أن يتذكر.

قول الشيخ: "إن الرجل لم يجرح" وقوله: "هذا الحديث المقبول في نظر الحافظ" فإن الشيخ بعد قليل سيناقضهما.

أما قول الشيخ إنه "ليس له سوى هذا الحديث" فقد سبق بيان بطلانه بتفصيل.

أما قوله: إن مثل هذا الرجل مجهول الحال الخ" فهذا الخطأ بعينه فالرجل – إبراهيم بن محمد ابن الحنفية – روى عنه ستة باعتراف الشيخ عباد نفسه (ص 309) وزاد ابن حجر في النكت الظراف (7 / 444) راويا سابعا. ووثقه إمامان هما العجلي وابن حبان، وأنه"لم يجرح كما ذكر الشيخ هنا. فهل بعد هذا كله يبقى الرجل "مجهول الحال" ؟؟ هذا من غرائب الحدثان !! ولا شك أن قول الحافظ ابن حجر "صدوق" هو في غاية الاعتدال. بل مثله يمكن أن يقال فيه "ثقة".

أما المجهول فقد تقرر عند علماء المصطلح والحديث أن الراوي إذا روى عنه واحد فقط فهو "مجهول العين". فإذا روى عنه شخصان أو أكثر فهو "مجهول الحال" أو "مستور" فإذا وثقه أحد الأئمة فقد خرج من جهالة الحال وأصبح ثقة. (ينظر لمعرفة ذلك شرح نخبة الفكر لابن حجر ص 100، وغيره من كتب مصطلح الحديث).

وقد قال الشيخ عداب نفسه في (ص 275 من كتابه هذا): فإذا كان الراوي معروف المعين، ولم يترجمه المصنفون في الضعفاء فهو من الثقات غالبا، فإذا صرح بتوثيقه عدد من الحفاظ أو واحد منهم نقلت ذلك وعددته من الثقات.

قلت: فالرجل معروف العين برواية سبعة عنه، ولم يترجمه العقيلي في الضعفاء، ولا ابن حبان في المجروحين، ولا ابن عدي في الكامل، ولا الذهبي في الميزان (على الرغم من اعتراف الشيخ هناك بأنهم قد يترجمون لبعض الثقات) ووثقه إمامان من أئمة الجرح والتعديل – وليس واحدا فقط – فكيف يستسيغ الشيخ أن يناقض نفسه ويقول في حقه إنه: "مجهول الحال" إلا إذا أراد أن يؤسس قواعد جديدة في علم مصطلح الحديث للتخلص من أحاديث المهدي – كما فعل المعتزلة للتخلص من أحاديث الصفات – فبإمكانه أن يقول ما يشاء، ولكن هذه القواعد [1] وقائلها سيظلان منبوذين من قبل أهل العلم. وهذا إذا كان هو نفسه يلتزم بتلك الأقوال فكيف وعنده في كل مقام مقال، ونسأل الله العافية.

12 – قال الشيخ عداب: وهب أن ياسين العجلي وإبراهيم بن محمد صدوقان فعلا، فهل يحسنون العلماء أو يصححون كل مفاريد الصدوق.(كتاب العداب ص 310) وقال أيضا: إن لكل إمام ناقد مصطلحه الخاص في دلالة (صدوق).

قلت: الأصل في رواية الصدوق أنها مقبولة، فإذا تبين بدليل آخر أنه – وحتى الثقة الجمة – أخطأ في حديث ما أو في كلمة ما من حديث ما فيترك خطؤه، وهذا ليس خاصا برواة الحديث بل يدخل فيه كل الناس بعد النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم بما فيهم كبار أئمة المحدثين الفقهاء فالكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكن منهج التشكيك والاحتمالات إذا عمم في كل شيء فقد يصعب علينا الحياة على وجه الأرض، ولا أريد ضرب الأمثلة على ذلك فإنها قد تكون صعبة على النفوس.

والأئمة عامة نصوا على قبول رواية الصدوق، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر.

1 – الإمام ابن أبي حاتم الرازي ضمن تذكرته لطبقات الرواة، قال: ومنهم الصدوق في روايته، الورع في دينه، الثبت الذي يهم أحيانا وقد قبله الجهابذة النقاد، فهذا يحتج بحديثه أيضا. (الجرح والتعديل (التقدمة) 1 / 6)

2 – قال الإمام ابن حبان: إن المسلمين قاطبة ليس بينهم خلاف أن الخبر لا يجب أن يُسمع عند الاحتجاج إلا من الصدوق العاقل (المجروحين 1 / 17) وقال ابن حبان أيضا في

[1] ستأتي محدثات من الشيخ من هذا القبيل في أحاديث أخرى.

مقدمة كتاب الثقات، "ولا أذكر في هذا الكتاب الأول إلا الثقات الذين يجوز الاحتجاج بخبرهم" وقال بعد ذلك بستة أسطر: "فكل من أذكره في هذ الكتاب الأول فهو صدوق يجوز الاحتجاج بخبره". (الثقات 1/ 11) فهذا التصريح من الإمام ابن حبان بأن الثقة والصدوق كلاهما يحتج بخبرهما، أما وصف حديث أحدهما بالصحيح والآخر بالحسن فهذا فرق مراتب فقط، أما الاحتجاج فكلاهما يحتج بهما على السواء .

3 – وقال الإمام أبو عبد الله الحاكم صاحب المستدرك: فقد أجمع المسلمون قاطبة بلا خلاف بينهم أنه لا يجوز الاحتجاج في أحكام الشريعة إلا بحديث الصدوق العادل. (المدخل إلى كتاب إلا كليل ص 19)

يظهر من هذه التصريحات ان الاحتجاج بخبر الصدوق هو المنهج العام لأئمة الحديث قاطبة – إلا من شذ –. وهو ما جرى عليه العمل عند الأئمة المتأخرين، والذي قال في إبراهيم: "صدوق" ومثله في ياسين العجلي: "لا بأس به" وهو الحافظ ابن حجر بناء على أقوال أئمة الجرح والتعديل.

وقد نص الحافظ ابن حجر نفسه في شرح النخبة (ص 30):

"وخبر الآحاد بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ هو الصحيح لذاته، ثم قال: "فإن خف الضبط فالحسن لذاته. (شرح النخبة ص 30، وص 42) وقد ذكر في تقريب التهذيب في مراتب التعديل". الثالثة: من أفرد بصيغة، كثقة أو متقن أوثبت أو عدل. والرابع: من قصر عن درجة الثالثة قليلا وإليه الإشارة بصدوق أو لا بأس به، أو ليس به بأس. (التقريب ص 80).

فإذا كان حديث الثقة صحيحا، فالذي يليه مباشرة هو الصدوق فإن لم يكن حديث الصدوق حسنا، فما هو الحديث الحسن إذا ؟

هذا هو منهج عامة أئمة الحديث، أما القول أن لكل إمام ناقد مصطلحه الخاص في دلالة (صدوق) فهذا فيه مجازفة واضحة إذ لو كان الأمر كذلك لوجدنا مئات من المصطلحات في تفسير كلمة "صدوق" فقد ذكر الإمام الذهبي أسماء سبع مائة وخمسة عشر إماما في "من يعتمد قوله في الجرح والتعديل".

(يتبع)

***

تفنيد المزاعم

رفع الحجاب عن حقيقة تهمة التطرف والإرهاب

أبو القاسم عبد العظيم
مئونات بنجن

عرض موجز لمقال الداعية / أبو القاسم عبد العظيم، المقدم لمؤتمر "الحركة الوهابية بين الحقائق والأوهار" المنعقد في **15** / محرم الحرام **1431** هـ / **2** / يناير **2010** م في الجامعة السلفية، وارانسي، الهند.

(الف) بدئ المقال مكتفيا بالبسملة وبدون تمهيد نظرا لظروف الندوات والمؤتمرات حيث لا يسمح الوقت لقراءة المقال كله من أوله إلى آخره على الحضور، وهذه تجربة مرة ومريرة قد مررت بها أنا وأكثرمن يشارك في الندوات فيعطى ببضعة دقائق فيتأسف أو يجنى على حقوق الآخرين من حصة الوقت، ومن هنا فقد دخلت في صميم الموضوع بعد البسملة، وأخرت بيان الأسباب والعلل والمقدمات والتمهيد في آخر المقال.

(ب) كل من له أدنى صلة بتاريخ الدولة السعودية،وكل من له أدنى إلمام ومعرفة بتاريخ الدعوة السلفية النجدية المعروفة فيما بين الناس بـ "الحركة الوهابية" أو"الدعوة الوهابية" يعرف جيدا أن هذه الدولة والدعوة أحيطت بالشائعات والافتراءات والتهم من قبل كافة أعدائها من السياسيين والمبتدعين من المسلمين، ومن غيرهم من أصحاب الأفكار الهدامة والنزعات المنحرفة والإلحادية واللادينية، حيث كانت الدعوة والدولة في مهدهما حتى هذا العصر الراهن، فهؤلاء الأعداء ما زالوا ولا يزالون يلصقون بهما التهم في حين وآخر، ويقوم جهابذة أهل العلم والإيمان والغيرة بالرد عليهم وإفحامهم.

(ج) في حج العام **1430** هـ / **2009** م لقيت في مكة المكرمة رجلا داعيا ومبلغا يحمل شهادة "الدكتوراه" من بعض الجامعات السعودية، جاءإليها في الحج من أقصى بلاد الدنيا، وقد سمعته أذناي وهو يتحدث إليّ: "إن هؤلاء الأمراء السعوديين يتكلمون اليوم عن الإسلام والدين ويهمهم اليوم أمر المسلمين، وإنهم لم يسيطروا بالأمس على الحكومة إلا بالسلب والنهب والغارة وإراقة الدماء وقتل الأبرياء، وبخاصة في أيام الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ولكن حقيقة الأمر لا يعرفها الكثيرون"، فأفحمت الدكتور من خلال أحاديث الملك وخطاباته أمام الشعب والحجيج، وكفى بتلك الأحاديث حجة.

وفي أيام الحج أيضا سمعت أن بعض زعماء الهندوس المتطرفين في الهند من حزب بهارتيه جنتا قد ألصق تهمة التطرف والإرهاب بالحكومة السعودية في بعض الندوات حضرها سعادة السفير السعودي في الهند، وقد رفع سعادته الاحتجاج عليه وخرج من الندوة – وأحسن وأصاب – جزاه الله خيرا.

(د) بعد العودة إلى الهند تلقيت الدعوة للحضور في ندوة الجامعة السلفية، بنارس، الهند، المنعقدة تحت عنوان: "الحركة الوهابية بين الحقائق والأوهام" في تاريخ 15 / محرم 1431 هـ / 2 / يناير 2010 م، فاغتنمت الفرصة أن أدافع عن الحركة الوهابية المكونة من عنصرين أساسيين، وهما: الدعوة والدولة، واخترت عنوان المقال: "سعودي حكومت اور وهابي تحريك بر دهشت كردي كيـ الزام كي حقيقت" ما معناه باللغة العربية "بيان حقيقة الاتهام بالإرهاب والتطرف على المملكة العربية السعودية والدعوة الوهابية السلفية". وقد قدمته على المؤتمرين هناك، وذهب به أصحاب المجلات والصحف ونشروه في مجلاتهم وصحفهم.

وللجميع مني الشكر والتقدير على هذه المساهمة والقبول – وجزاهم الله عني خيرا –.

(هـ) في هذا المقال قدمت خمسة نصوص أساسية من كلام الملك المغفور له بإذن الله عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود – رحمه الله – ألقاه ببعض المناسبات أمام كبار الحجاج وغيرهم من المواطنين السعوديين والمسئولين في مكة المكرمة وفي الطائف وغيرهما، وقد نقلت تلك النصوص كلها من كتاب "المصحف والسيف" لمؤلفه الأستاذ محي الدين القابسي، الطبعة 4 عام 1419 هـ / 1998 م من مطبوعات دار الصحراء السعودية للنشر بالرياض، ثم ترجمتها إلى اللغة الأردية، واستنبطت منها النوايا المخلصة لرفع كلمة الإسلام ونشر الحق والدين لدى الملك عبد العزيز – رحمه الله ، وأن عواطفه الجياشة – رحمه الله – لم تكن لتوسيع نطاق دولته وسلطانه والسيطرة الاستبدادية على الجمهور، بل إنه – رحمه الله – كان جل همه موجها لإعلاء كلمة الدين، وكان يجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها، وكان يحب أن يراها قائمة ولو على يد أعدائه، وإن تمت على يده فذلك فضل من الله، وكان من مشهور قوله: "كل همي موجه لإعلاء كلمة الدين وإعزاز المسلمين، وسنبقى مثابرين أنا وأسرتي على هذه الخطة إلى ما شاء الله، ولن نحيد عنها قيد شعرة بحول الله وقوته، ومن الله نسأل التوفيق والهداية".

(و) في ثنايا المقال وخلاله أشرت إلى بعض النصوص الأخرى من الكتاب المذكور، وإلى بعض المشكلات والمصائب والدعايات والشائعات التي لقيت بها الحركة الوهابية والدعوة السلفية والدولة السعودية من قبل أهل البغي والحسد من المسلمين، وما كانوا يكيدون لها من المكائد والغارات لشد خناق الدعوة والدولة معا في مهدهما وأرضهما.

كما أشرت إلى بعض ما قمت به من الأعمال الدفاعية من تأليف الكتب وكتابة المقالات والبحوث ونشرها بداء من اضطرابات أهل التشيع في مكة المكرمة عام **1407** هـ ، ... إلى حرب الخليج واحتلال العراقي لدولة الكويت عام **1990** م، ... إلى ما بعدها.

(ز) إن المقال مع إيجازه واختصاره قد لقى رواجا وقبولا لدى أصحاب المجلات وقرائها، وقد تلقيت – أنا شخصيا – كثيرا من انطباعات الإخوة نحوه بالهاتف وفي اللقاءات، وقد أخبرني بذلك أيضا بعض الإخوة المسئولين في المجلات بأنهم تلقوا الثناء العاطر على نشره في مجلاتهم – فلله الحمد.

كما أنني وزملائي من أصحاب المجلات أحسوا التجربة الحسنة من قبل المجتمع أنه في أمس حاجة إلى مثل هذا المقال الصدق، الكاشف عن حقيقة تاريخية للدولة والدعوة وأن قراء مجلاتهم يشجعونهم على نشر أمثاله في الدفاع عن دولة التوحيد على الدوام.

(ح) وإليكم النصوص الخمسة الأساسية التي قد استندت إليها في هذا المقال من كلمات الملك عبد العزيز – رحمه الله – وخطاباته من كتاب "المصحف والسيف" لمؤلفه الأستاذ محي الدين القابسي:

النص الأول:

قال الملك الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – رحمه الله – في خطاب ألقاه أمام الحجيج في **6** / ذي الحجة **1350** هـ / **12** / ابريل **1932** م ونشرته جريدة أم القرى في اليوم القادم، قال:

"إنهم إذا أرادوا التكلم عن نصراني تأدبوا وأحسنوا الرد، ولكن إذا تكلموا عن المسلمين رموهم بالبهتان كأنهم أعداء لهم .. يقولون "ابن سعود قال كذا".. و"فعل كذا" .. وهذا زور .. زور .. لماذا كل هذا؟ .. هنا رجال نقموا علينا لما أعطانا الله إياه، فسوَّل لهم الشيطان من الوسواس الشيء الكثير، ولم أر أحدا من أولئك دافع عني ولا مدافعة واحدة، بعضهم منعوا عن الحرمين الصدقات والأوقاف وأخذوا يمنعون الناس عن حج بيت الله .. كله لأجل ابن سعود .. فما هو العمل الذي عمله ابن سعود ؟ .. هل نصب ابن سعود صنما يعبده من دون الله؟

.. هل أباح الخمور ؟ .. حل أباح الزنا والفجور ؟ .. هل ترك ابن سعود الأشرار يفسدون في الأرض ؟ .. أم ماذا صنع مما ينكره الشرع وتأباه المروءة العربية ؟ ..

إني والله أخاف الأجنبي مرة واحدة، وأخاف الذين يدعون الإسلام ثلاثة آلاف مرة ... وأرجو أن يعذرني المسلمون في قولي هذا .. وإني والله صادق فيما أقوله وما تكلمت به .. وقد قيل: يا رسول الله المسلم يزني؟ .. قال: يزني .. قالوا: يسرق؟ .. قال: يسرق.. قالوا: يكذب؟ .. قال: لا ...

فأنا أبرأ إلى الله من الكذب .. هذه حقيقة الأمر". (المصحف والسيف، ص 76)

النص الثاني:

وقال الملك الإمام – رحمه الله – في خطاب ألقاه في مكة المكرمة في 23 / محرم الحرام 1348 هـ / 1/ يوليو 1929 م عند مغادرته منها إلى الرياض:

"لقد قلت، وما زلت أقول: إنني لا أخشى من الأجانب قدر ما أخشى من بعض "المسلمين"، فالأجانب أمرهم معروف، وفي الاستطاعة الحذر منهم، وفي الإمكان الاستعداد لصد هجماتهم وإحباط دسائسهم، أضف إلى ذلك أنهم لا يقدرون على محاربتنا باسم الإسلام، أما بعض "المسلمين" فهم ما زالوا يكيدون لنجد وأهل نجد باسم الإسلام والمسلمين، ويحاربون إخوانهم المسلمين باسم الإسلام منذ عصور.

كانت الدولة العثمانية، وقد كانت أقرب الناس إلينا بصفتها دولة إسلامية، فحاربتنا باسم الإسلام والمسلمين محاربات شديدة، وأحاطت بنا من كل جانب، حاربنا مدحت باشا من جهات القطيف والأحساء، وسيرت علينا من الحجاز واليمن قوات عظيمة، وكذلك سارت جيوشها من الشمال فحاصرتنا من كل جانب للقضاء علينا ولضربنا في الصميم .. حاربتنا باعتبار "الوهابية" مذهبا جديدا، وأن ابن عبد الوهاب جاء ببدعة جديدة، وأن "الوهابيين" تجب محاربتهم .. إلى غير ذلك من الأقوال المنمقة، التي انطلقت على أصحاب العقول السذج من الدهماء، فانخدعوا وانقادوا لأقوالها، ولكن الله نصرنا عليهم.

وكذلك فعل الشريف وأنجاله .. فقد حاصرونا من كل الجهات وأرادوا القضاء علينا باسم الدين أيضا، ولكن الله نصرنا عليهم وجعل كلمته هي العليا، وقد نصرنا الله بقوة التوحيد في القلوب، والإيمان الذي في الصدور، ويعلم الله أن التوحيد لم يملك علينا عظامنا وأجسامنا فحسب، بل ملك علينا قلوبنا وجوارحنا، ولم نتخذ التوحيد آلة لقضاء ومآرب شخصية أو

لجرمغنم، وإنما تمسكنا به عن عقيدة راسخة وإيمان قوي، ولنجعل كلمة الله هي العليا".
(المصحف والسيف ص 58 – 59)

النص الثالث:

وقال أيضا – رحمه الله – في خطاب ألقاه في مكة المكرمة في 1/ ذي الحجة 1347 هـ / 10 / ابريل 1930 م حيث أقامت أمانة العاصمة حفلا تكريميا على شرف جلالته:

"نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالي من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى التي لا انفصام لها .... نحن دعاة إلى الإيمان بالله وبرسول الله وبكتاب الله وبسنة نبيه، نحن ندعو إلى ذلك جهد طاقتنا في السر والعلن، وليس في ذلك غش ولا تدليس.

إن فخرنا وعزنا بالإسلام .. والله لا يهمني مال قارون ولا غيره .. وكل همي هو موجه لإعلاء كلمة الدين وإعزاز المسلمين .. سنبقى مثابرين – أنا وأسرتي – على هذه الخطة إلى ما شاء الله .. ولن نحيد عنها قيد شعرة بحول الله وقوته. ومن الله نسأل التوفيق والهداية.
(المصحف والسيف ص 62)

النص الرابع:

وقال – رحمه الله – في خطاب ألقاه في الطائف في 18 / محرم 1351 هـ / 24 / مايو 1932 م لدى استقباله كبار رجالات الدولة والشخصيات والأعيان، ونشرته جريدة أم القرى في عدد 21 / محرم / 27 / مايو:

"تعلمون أننا ما دخلنا الحجاز إلا بعد أن حوربنا في وطننا، وإنا والله لا نقبل على أمر إلا إذا بلينا فيه، وإذا بلينا في شيء دافعنا عن ديننا وأنفسنا وقوميتنا ووطننا، فيأخذ الله بيدنا وهذا فضل من الله علينا، وإذا ما بلغنا إلى جهة من الجهات أمرنا أهلها باتباع كتاب الله وسنة رسوله، وما نحن إلا مجاهدون في سبيل الله. وإن أول شيء نحافظ عليه ونعض عليه بالنواجد ونحارب دونه، ولو أهل الأرض، هو ديننا ووطننا، وهذان الأمران لا نقبل فيهما قولا ولا تصرفا ولا هوادة. إنا نبذل النفس والنفيس دونهما لأنهما عظيمان عندنا، ولا يمكن أن نتخلى عنهما قيد شعرة، ومن لا منا في ذلك فليضرب رأسه بالجدار. (المصحف والسيف ص 80)

النص الخامس:

وقال – رحمه الله – في خطابه مع كبار الحجاج بمكة المكرمة في 6 / ذي الحجة 1350 هـ / 12 / ابريل 1932 م ونشرته جريدة أم القرى في اليوم التالي:

"وكل إنسان عنده نصيحة لنا من الكتاب أو السنة فنحن مستعدون في جميع الأوقات، سواء كانت من كبير أو صغير أو جليل أو حقير، ومن أرادنا على مخالفة شيء من ذلك فلا

نقبله أبدا، وقد أمرنا الله أن نتبع شريعة الإسلام وأن نعض عليها بالنواجذ، ومن غضب علينا لاستمساكنا بديننا فليغضب علينا إلى ما يشاء.

تولينا الحجاز، فقام الناس بين شامت وناقم ومحب وناصح .. وإخواننا المسلمون نقبل منهم كل أمر فيه مناصحة على شرط أن تكون في الحق، ومسألتان لايمكن أن نقبلهما ولو قاتلنا أهل الأرض حتى لا يبقى فينا أحد: التغيير في دين الله ولو مثقال خردلة، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فالكتاب والسنة لا نحيد عنهما أبدا، والثانية: إن أي أمر يلحق استقلال أو شرف بلادنا فهذا مستحيل أن نقبله، ولو تكلم أو قال من قال، والحقائق مبثوثة ومعلومة وهذا هو الذي يلزمنا دينا ودنيا.

وإني أعلن وأقول: إن من أراد من ملوك المسلمين أو أمراء المسلمين أو تجار المسلمين أن يقوم بعمل خيري للمسلمين في هذه البلاد فأهلا وسهلا ومرحبا .. بشرط ألا يخل بشرف بلادنا أو باستقلالنا ولا بشيء من أمور ديننا .. وأما كلام الحق الذي يراد به باطل فهو لا نقبله ولا نقره ولا نسمعه وعلينا أن نحافظ على كل شيء يقدم إلينا بأمورنا وأنفسنا على الطريقة الشرعية.

وإني والله لا أقبل على بلادي ولا على بلاد المسلمين ما يضربهم، وإني أحترم الشائب منهم كأبي والوسط كأخي والصغير كابني .. وهذا ما أعاهد الله عليه ثم أعاهدكم عليه .. والحقائق ظاهرة كالشمس. (المصحف والسيف ص 75 – 77)

(ط) تلك هي النصوص الخمسة الأساسية التي استندت إليها واعتمدت عليها في الاستدلال والبرهان، وإلا فهناك نصوص كثيرة مبثوثة في ثنايا هذا الكتاب وحده دون غيره من الكتب، وموجز تلك النصوص وخلاصتها ما قاله جلالته – رحمه الله – في خطابه في الطائف:

"وإني أعتمد في جميع أعمالي على الله وحده لا شريك له، أعتمد عليه في السر والعلانية والظاهر والباطن، وإن الله مسهل طريقنا لاعتمادنا عليه، وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد والحرص عليها، وأحب أن أراها قائمة ولو على يد أعدائي، وإن تمت على يدي فذلك فضل من الله". (المصحف والسيف ص 79، ويراجع النص الرابع المذكور)

هذا ، وبالله التوفيق.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ومن استن بسنته واهتدى بهديه، والحمد لله أولا وآخرا. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

***

دفاع عن السنة:

تهوين العمل بالسنة في الأوساط الإسلامية

بقلم: صلاح الدين مقبول أحمد
الكويت

لقد مُنيت السنة المشرفة في العصر الحاضر بدعاة إلى التحرّر الفكري، والتشكيل الجديد للإسلام، ولاريب أنهم يسعون لإحياء المفاهيم الإسلامية لا يشكّ في ولائهم للإسلام والمسلمين، وتعتبركتاباتهم تمثيلا للإسلام. ولكنهم تأثروا في كتبهم وبحوثهم نحو الحديث بالاعتزال قديما، وبالاستشراق حديثا، لأن دراستهم كانت أجنبية عن السنة، أو كانوا في غفلة عما بذله المحدثون من جهود جبارة في تدوينها، وجمعها، أو كانوا على جهل بما قام به أساطين الجرح والتعديل، وحفاظ الحديث من تنقيتها من وضع الواضعين، وإبطال المبطلين، وتحريف الغالين.

راجت بتأثيرهم [1] النزعة الاعتزالية نحو السنة، في الشباب الذين يعيشون على كتبهم فتجد من ينكر بعض المغيبات التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة.

---

[1] قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في مقدمة "الصحيح المسند من دلائل النبوة" (ص 9 – 11).

"أما المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم يعتبرون التشريع كله دلالة على صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لما فيه من الأسرار العجيبة، والحكم البليغة، وهكذا التابعون لهم بإحسان حتى نبغ أقوام من ذوي الاعتزال، فاعتزلوا الكتاب والسنة، إلا ما يوافق أهواءهم، وهم يزعمون أنهم يعتمدون على عقولهم، وهم في الحقيقة يعتمدون على أهوائهم، لأن العقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح، فضاقت صدورهم ببعض المعجزات النبوية. فهذه يؤولونها، وتلك يضعّفونها. فأراد الله أن يحق الحق ويبطل الباطل. وكاد مذهب الاعتزال أن ينقرض.

وفي هذه الأزمنة المتأخرة نبغ أقوام من ذوي الأهواء،فأرادوا أن يأخذوا بالثأر للمعتزلة، فتاهوا كما تاه أسلافهم من أولئك التائهين الحيارى، ومن أولئك الثائرين للاعتزال به. ومنهم من هو ثائر للإلحاد.

(1)جمال الدين الأفغاني الرافضي الإيراني. (2)محمد عبده المصري.
(3)محمد رشيد رضا، وليس كسابقيه (4) محمد شلتوت (شيخ الأزهر)
(5)طه حسين. (6)أحمد أمين صاحب فجر الإسلام وضحاه وظهره.
(7)أبو رية. (8)محمد الغزالي. في كثير من كتاباته استخفاف بأهل السنة، وتهوين العمل بالسنة من ذلكم: (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين). وكذاكتاب (هموم الدعوة والداعية). هؤلاء في آخرين قاموا بحملة على السنة وانتصروا للاعتزال. ومنهم من انتصر للفرص. وأصبح العلم في مصر ألعوبة بين راد ومردود عليه.

غالب هؤلاء متاجرون إما من أعداء السنة من الرافضة. ولكن يأبى الله إلا أن ينصر سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ويظهر دينه ولو كره الملحدون. فقد استيقظ شباب في جميع الأقطار الإسلامية، ديدنهم: "قال الله قال رسول الله" فباء أعداء السنة بالخزي.

بالأمس كان يلقب جمال الدين، ومحمد عبده بالإمامين المجددين، واليوم عرفا بالماسونيين (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب) [آل عمران: 3 / 8]

وتجد من يستريب بالمعجزات الثابتة بالأحاديث الصحيحة، وتجد من يرفض أخبار الآحاد، أو يجعل دائرة العمل بها محصورة ببعض الأحكام دون العقائد.

أما الاستخفاف بالسنن العملية، وتهوين العمل بكثير من الأحاديث الصحيحة في أوساط بعض الجماعات الإسلامية، فحدِّث عنه ولا حرج.

لقد قامت الصحوة الإسلامية، بفضل الله ومنّه، في جميع الأقطار الإسلامية في الآونة الأخيرة، واتجهت الطبقة الذكية من الشباب إلى الإسلام عقيدة وعملا، ومنهجا وسلوكا، وتمسّكت بالكتاب والسنة في حياتها تمسكا نبَّه الآخرين من غفوتهم، حتى بدأ الشباب في الأوساط الإسلامية الأخرى يفاجئون كبارهم بالسؤال بنواياهم الطيبة:

لماذا عندهم ذلك الالتزام الدقيق بالسنة، وتطبيقها في كل صغير وكبير؟ ولماذا عندنا الاستخفاف بها في كثير من الأمور العقدية والفقهية ؟!

هذا النوع الحساس من الشباب، الغيور على دينه وعقيدته يبحث عن الحق، ويريد الوصول إليه ويحتاج إلى الإرشاد الهادف، والتوجيه المستقيم في حياته الدعوية.

ولكن – وللأسف الشديد – يهدّأ بأسلوب خاطيء، ويوجّه إلى مسار غير صحيح، ويلقّن بأنه على الحق والصواب والاعتدال، وغيره معقّد ومتطرّف ومتشدّد، لأنه يعمل بأخبار الآحاد [2] !!

وهؤلاء الضالون التائهون منهم من تصدّى للطعن في قصص القرآن، ومنهم من تصدى للطعن في معجزات الأنبياء عليهم السلام، ومنهم من تصدّى للطعن في الصحابة الذين هم نقلة الدين إلينا، ومنهم من تصدى للطعن في بعض الأحكام، وسنوا سننا سيئة ترى كتبهم تشجّع من قبل الرافضة، ومن قبل الملحدين.

وإني أحمد الله فقد رأيت من الإجابة على كتبهم، بل على أباطيلهم وترهاتهم ما تقرّبه أعين أهل السنة. فجزى الله إخواننا الذين تصدّوا لهذا أخيرا.

هؤلاء المتهالكون الحيارى من ذوي الاعتزال الأقدمون والمتأخرون قوبلوا بأناس من القصّاصين يحدثون الناس بالغث والسمين، والحق والباطل. ومنهم من يدفعه التعصب الأعمى إلى وضع أحاديث باطلة.

وهناك فريق آخر نظر في دلائل النبوة فحمّلها ما لا تتحمّل. وبين يدي الآن كتاب من كتب الضلال بعنوان: (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية) حرّف كثيرا من الأدلة، وحمّل أدلة أخرى ما لا تتحمّل. وقد ردّ عليه الشيخ حمود التويجري بكتاب أسماه: (إيضاح المحجة في الرد على صاحب طنجة)". انتهى ملخصا.

[2] أخبرني أحد من الشباب الثقات أن قريبا له كان رجلا عاديا، وجلس عدّة أيام مع أناس مخصوصين. فجاء يزوره. وقال له أثناء الكلام: أنتم تعملون بأخبار الآحاد، والعمل بها ظني وليس بيقيني، مع أنه لا يدري من أمر دينه إلا قليلا.

هذا، وفوجئت أنا شخصيا بالسؤال من قبل طالب هو في الثالثة عشرة من عمره يقول: ما هو حكم العمل بأخبار الآحاد؟ وقال فلان: إن العمل بها لا يجوز – وهذا الطالب وأمثاله في أشد حاجة إلى أن يعلّموا التوحيد ونواقضه، وطريقة الوضوء، وكيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، قبل أن تُزرَعَ في أذهانهم شبهة ضد الأحاديث الصحيحة.

فإن دلّت هذه التلقينات على شيء، فإنما تدل على هروب هؤلاء الدعاة من العمل بالسنة، وإيقافهم المد الإسلامي المتّجه إلى الالتزام بالأحاديث النبوية، بصنوف من الشبهات. فنسأل الله السلامة، ونعوذ به من الخذلان.

هكذا يغسل مخّه، وينَوِّم على ما هو عليه.

وهذا الأسلوب الماكر من الإجابة من قبل "الدعاة المعتمد عليهم" عنده، يزرع أول شبهة في ذهنه نحو الحديث وأهله، لأنه بنفسه لا يميّز بين الحق والباطل، فتغرّه لوامع الأسماء والألقاب.

طبعا، تبدأ هذه الشبهة ضئيلة، وتتقوّى في ذهنه بمرور الأيام، فتتفرّع عنها شبهات أخرى. وربّما تنتهي بإنكاره بعض العقائد، والمغيبات، والمعجزات فضلا عن استخفافه بالسنة، وتهوينه العمل بالحديث.

ومن ناحية أخرى، يتربّى هذا الشابّ في هذا الجوّ الخانق على كره من يعتصم بالكتاب والسنة عقيدة ومنهجا، ومن ينادي بتوحيد الأمة بالرجوع إليهما حكما ودستورا، والتحاكم إليهما في جميع شئون الأمة، مع الاحترام والتقدير والاعتبار باجتهادات الأئمة، وروّاد الفقه الإسلامي.

ولم ينته الأمر ههنا، بل يرمى هذه النخبة المختارة من شباب الأمة بالشذوذ، والتقوقع، والرجعية والتقهقر، والاجتهاد، واللامذهبية، وكل ذلك بإيحاء من المحيط الذي يعيش فيه. وهكذا يصبح عنده المعروف بمرور الأيام منكرا، والمنكر معروفا.

ولا قدّر الله، إذا انفكّ هذا الشاب عن جماعته، واعتزلها لأي سبب من الأسباب فيحلو له أن يوالي أصحاب البدع والأهواء، والانحلال والزندقة، ولكن يتعذّر عليه أن يسير مع الركب الذي يشجّع على العمل بالكتاب والسنة، ويتمسّك بهما، ويدافع عنهما. وذلك لما نشأ عليه من كرهه إياه، من بداية عهده بالدعوة، بتوجيه الدعاة الذين وثق بهم، فخانوه. (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم، إن ربك هو أعلم بالمعتدين) [الأنعام: 6 / 119)

فيلتّق الدعاة الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وليحترزوا من هذا الأسلوب الماكر من الدعوة والإرشاد، والتوجيه والتنبيه، لأن الشباب أمانة في أعناقهم، ويُسألون عنهم يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأقول للشبلب كلمة صريحة من سويداء قلبي، وهي أن يدوروا حيث دار الحق، ولا تأخذهم العزة بالإثم في قبوله بعد العلم به، لأن التمادي في الباطل من الصفات البغيضة عند الله سبحانه وتعالى، وكيف بنا نحن وقد حذّر عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الصدد، فقال: (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ماجاءك من العلم، إنك إذا لمن الظالمين) [البقرة: 2 / 145].

***

تصحيح المفاهيم

تغسيل فاطمة بنت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نفسها قبل موتها

(2-2) الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

*** القصة من طريق أخرى:**

أخرج عبد الرزاق في "المصنف" (3 / 411 / رقم 6126) – ومن طريقه الطبراني، وعنه أبونعيم في "الحلية" (1 / 43)، ومن طريقه الجورقاني في "الأباطيل" (2 / 56 – 57 / رقم 446)، وابن زبر في "وصايا العلماء عند حضور الموت" (ص 42)–: "نا معمر [1] بن راشد عن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: إن فاطمة لما حضرتها الوفاة أمرت عليا فوضع لها غسلا، فاغتسلت وتطهرت، ودعت بثياب أكفانها، فأتيت بثياب غلاظ، فلبستها، ومست من الحنوط، ثم أمرت عليا أن لا تكشف إذا هي قبضت، وأن تدرج كما هي في ثيابها، قال: فقلت له: هل علمت أحدا فعل نحو ذلك ؟ قال: نعم، كثير بن عباس، وكتب في أطراف أكفانه: يشهد كثير بن عباس أن لا إله إلا الله".

وهذا إسناد ضعيف جدا، وهو مرسل، وقد ضعفه جماعة من الحفاظ، منهم:

* الحافظ الجورقاني:

قال في "الأباطيل" (2 / 57 – 58) عقبه: "هذا حديث باطل، وعبد الله بن محمد بن عقيل لم ير فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يدرك زمانها، وقال العباس الدوري في "تاريخه" (رقم 3165) عن يحيى بن معين، أنه قال: "عبدالله بن محمد بن عقيل ضعيف في كل أمره"، وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في "الجرح والتعديل" (2 / 2 / 154): سألت أبي عن عبد الله بن محمد بن عقيل،فقال: ليّن الحديث، ليس بالقوي،ولا ممن يحتج بحديثه".

* الحافظ أبو سليمان محمد بن عبد الله بن زَبر الربعي.

قال عقبه: "هذا حديث لا أصل له، والصواب في ذلك ..." ثم ساق خبر تغسيل علي لفاطمة رضي الله عنهم جميعا.

---

[1] في مطبوع "المصنف" و "وصايا العلماء": "محمد بن راشد"، وهو المكحولي الخزاعي الدمشقي، يروي عن عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو صدوق يهم، وقد أثبت ناسخ مخطوط "وصايا العلماء" في الهامش لعله معمر بن راشد، وكذا أثبته الجورقاني وأبونعيم، وكذا في كتب التخريج مثل: "نصب الراية" و "تنقيح التحقيق"، وكذا في "الموضوعات" و "ترتيبه" للذهبي، وسائر المصادر.

* ابن الجوزي.

قال في "الموضوعات" (3 / 277): "ورواه عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل: أن فاطمة اغتسلت ... هكذا ذكره مرسلا، وهذا حديث لا يصح"، قال: "وأما ابن عقيل، فحديثه مرسل، ثم هو ضعيف جدا، قال ابن حبان: كان رديء الحفظ يحدّث على التوهم، فيجيء بالخبر على غير سننه، فلما كثر ذلك في أخباره، وجب مجانبتها".

ونحوه في "التحقيق"، وأقره ابن عبد الهادي في "التنقيح" (2 / 1283)، والذهبي في "ترتيب الموضوعات" (ص 320).

* الزيلعي:

قال في "نصب الراية" (2 / 251):"... ورواه عبد الرزاق في "مصنفه" بسند ضعيف ومنقطع، لكن ليس فيه هيئة الاضطجاع".

ولا يلتفت إلى ما قاله الذهبي في "أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي" (رقم 52، ص 109) عقب تلخيصه لقول الجورقاني بقوله: "هذا منقطع، وهو منكر باطل"، قال: "قلت: لعله وقع، فإنه مرسل جيد"!

قلت: كلامه متعقب، لأنه وقع ضده وخلافه، وهو قد قال عن هذه القصة في "السير" (2 / 129): "هذا منكر"، واقتصر [1] في "تاريخ الإسلام" (ص 48 – عهد الخلفاء الراشدين) على ما يفيد أن عليا رضي الله عنه هو الذي غسلها.

قلت: ويؤيد ذلك الأثر الصحيح الآتي:

أخرج عبد الرزاق في "المصنف" (3 / 410 / رقم 6122) من طريق عمارة بن مهاجر عن أم جعفر بنت محمد عن جدتها أسماءبنت عميس، قالت: "أوصت فاطمة إذا ماتت أن لا يغسلها إلا أنا وعلي، فغسلتها أنا وعلي".

وأخرج الشافعي في "الأم" (1 / 312) – ومن طريقه البيهقي في "المعرفة" (3 / 131/ رقم 2075)،و "الخلافيات" (مسألةرقم 168)-: "أخبرنا إبراهيم بن محمد عن عمارة – يعني ابن مهاجر – عن أم محمد بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب عن جدتهاأسماء بنت عميس أن فاطمة بنت رسول الله أوصتها أن تغسّلها إذا ماتت هي وعلي، فغسّلتها هي وعلي رضي الله عنهما".

---

[1] وكذا ابن عبد البر في "الاستيعاب"، والمزي في "تهذيب الكمال"، وابن قدامة في "التبيين في أنساب القرشيين" (ص 93)، وغيرهم كثير.

قال البيهقي عقبه: "تابعه عون بن علي بن أبي طالب عن عمارة بن المهاجر، إلا أنه قال: "عن أم جعفر عن أسماء".

وأخرجه الحاكم في "المستدرك" (3/ 163 – 164)،وعنه البيهقي في "الكبرى" (3 / 397)، و "المعرفة" (3 / 131/ رقم 2076) من طريق عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن محمد بن موسى عن عون عن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر، قالت: "حدثتني أسماء بنت عميس، قالت: غسّلت أنا وعلي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ووقع في مطبوع "المستدرك": "عن عون بن محمد بن علي وعمارة بن المهاجر"!! ولعله تصحيف!

نعم، رواه عون عن أمه أم جعفر عن أسماء، وفيه وصية فاطمة لأسماء وعلي بتغسيلها، وليس لعمارة فيه ذكر.

أخرج الدارقطني في "السنن" (2 / 79): ثنا عبد الباقي بن قانع نا عبد الله بن أحمد بن حنبل نا عبد الله بن جندل.

وأخرجه البيهقي في "الكبرى"(3 / 396):"أخبرنا أبو حازم الحافظ،والربعي في "وصايا العلماء" (ص 43)، كلاهما عن أبي الحسن أحمد بن عمير بن جَوصا نا عبد الله بن حمزة الزبيدي، كلاهما – ابن جندل وابن حمزة – عن عبد الله بن نافع الصائغ المدني عن محمد بن موسى عن عون بن محمد الهاشمي عن أمه عن أسماء بنت عميس أن فاطمة أوصت أن يغسّلها زوجها علي وأسماء، فغسّلاها".

وأخرجه الدولابي في "الذرية الطاهرة" (رقم 214) من طريق النضر بن سلمة – وتقدم أنه ضعيف –: ثنا محمد بن الحسن ويحيى بن المغيرة بن قزعة قالا: ثنا محمد بن موسى به". وفيه اللفظ المذكور، وقصة زيادة عليه، وفيه على لسان فاطمة لأسماء:"فإذا مت، فاغسليني أنت ولا يدخلن عليّ أحد"، وفيه: "وغسّلها علي وأسماء".

ورواه قتيبة بن سعيد عن محمد بن موسى عن عون وعمارة معا على الشك.

أخرج البيهقي في "الكبرى" (3 / 396)، وأبو نعيم في "الحلية" (2 / 43)، والجورقاني في "الأباطيل" (2 / 91 –92)، وابن عبد البر في "الاستيعاب" (4 /378) من طريقين عن قتيبة بن سعيد ثنا محمد بن موسى المخزومي ثنا عون بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أمه أم جعفر بنت محمد بن جعفر، أظنه وعن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر أن

فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: "يا أسماء! إذا أنا مت، فاغسليني أنت وعلي بن أبي طالب". فغسّلها علي وأسماء رضي الله عنهما.

هذا لفظ البيهقي، وزاد فيه أبو العباس السراج عن قتيبة قصة، وفيه الوصية المذكورة.

وأخرجه الدولابي في "الذرية الطاهرة" (رقم **211**) معلقا من طريق الواقدي – وهو متروك –، قال: "ثني محمد بن موسى عن عمارة بن المهاجر عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر أن فاطمة أوصت عليا أن يغسلها وأسماء بنت عميس، فغسّلاهاحين ماتت".

وهذا الإسناد حسن، رجاله ثقات معروفون، غير أم جعفر هذه، ويقال لها: أم عوف، لم يرو عنها غير ابنها عوف وأم عيسى الجزّار، ويقال لها: الخزاعية، ولم يوثقها أحد، وفي "التقريب": "مقبولة"،ومن مذهب ابن رجب وابن كثير – وغيرهما – تحسين حديث المستور من التابعين، كما قال شيخنا الألباني في "الصحيحة" (رقم **308**).

وقد ظفرت بجماعة من الحفاظ حسنوا هذا الإسناد،منهم:

* الجورقاني:

قال في "الأباطيل" (**2 / 92**): "هذا حديث مشهور حسن، رواه عن أم جعفر عمارة بن المهاجر".

* الذهبي:

نقل كلام الجورقاني السابق في "أحاديث مختارة" (ص **61**) وحذف منه كلمة "مشهور".

* ابن حجر العسقلاني.

قال في "التلخيص الحبير" (**2 / 143**): "إسناده حسن"، ثم قال: "وقد احتج بهذا الحديث أحمد وابن المنذر، وفي جزمهما بذلك دليل على صحته عندهما".

قلت:احتجاج ابن المنذر به في "الأوسط" (**5 / 336**)، واستدل به جماعة من الفقهاء على مشروعية تغسيل الزوج زوجته،منهم – على سبيل المثال –: البيهقي في "السنن الصغير" (**2 / 11**)، و "الخلافيات" (مسألة رقم **168**)، والماوردي في "الحاوي الكبير" (**3 / 178 – 179**)، والزمخشري في "رؤوس المسائل" (**193**)، والقاضي عبد الوهاب في "الإشراف على مسائل الخلاف" (**1 / 147**)، وابن قدامة في "المغني" (**2 / 312** – مع "الشرح الكبير")، والشوكاني في "السيل الجرار" (**1 / 344**).

وقد اعترض عليه بعضهم، بقولهم: "لو صحّ هذا، قلنا: إنما غسّلها لأنها زوجته في الآخرة [1] ، فما انقطعت الزوجية "! وإلى نحو هذا ذهب ابن التركماني في "الجوهر النقي" (3 / 396).

ويجاب عنه: لو بقيت الزوجية لما تزوج بنت أخت فاطمة، أمامة بنت زينب بعد موتها، وقد مات عن أربع حرائر، أفاده محمدبن عبد الهادي في "التنقيح" (2 / 1282)، والعيني في "البناية" (2 / 961).

وقال أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي في "التعليق المغني" (2 / 79): "وقد وقعت المكالمة في هذه المسألة بين بعض الأفاضل من أحبائي القائل بجوازه، وبين بعض من اشتهر من أعيان اللكهنو، فبهت ذلك البعض ولم يستطع أن يردّ روايات الجواز".

وقد حسّن إسناد تغسيل أسماء وعلي لفاطمة رضي الله عنهم: الشوكاني في "النيل" (4 / 58)، وأقره العظيم آبادي في "التعليق المغني" (2 / 79)، ومحمد بن علي النحوي في "آثار السنن" (2 / 118)، وشيخنا الألباني في "الإرواء" (3 /162 رقم 701).

وقد اعترض بعضهم على هذاالتحسين، مثل:

*** ابن التركماني.**

قال في "الجوهر النقي" (3 / 396): "في سنده من يحتاج إلى كشف حاله"، ثم قال: "ثم الحديث مشكل، ففي "الصحيح" أن عليا دفنها ليلا، ولم يعلم أبا بكر، فكيف يمكن أن تغسلها زوجه أسماء وهو لا يعلم؟ وورع أسماء يمنعها أن لا تستأذنه".

*** ابن فتحون.**

نقل ابن حجر في "الإصابة" (4 / 378) استبعاده وقوع تغسيل علي وأسماء لفاطمة، قال: "فكيف تنكشف – أي أسماء – بحضرة علي في غسل فاطمة، وهو محل الاستبعاد".

*** العيني.**

قال في "البناية" (2 / 961) على طريق عبد الله بن نافع: "قال ابن الجوزي في "التحقيق" (2 / 1282 مع التنقيح): "في إسناده عبد الله بن نافع، قال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي (وتصحف إلى الثاني): متروك، والبيهقي رواه في "سننه الكبرى" ولم يتكلم عليه، وظن أنه يخفى" انتهى.

---

[1] ويحكي بعض الحنفية – كالغزنوي في "الغرة المنيفة" (ص 47)، وصاحب "المبسوط" و "المحيط" و "البدائع"، وجماعة – أن ابن مسعود أنكر على علي رضي الله عنه تغسيله فاطمة، فقال له علي: "إنها زوجته في الدنيا والآخرة".

قلت: ولي على اعتراضاتهم أجوبة:

أولا: لتغسيل علي وأسماء فاطمة طرق أخرى، فليس مداره على عبد الله بن نافع، كما أوهم صنيع العيني، مع أن محمد بن عبد الهادي قال في "التنقيح" (2 / 1282) بعد كلام ابن الجوزي: "قلنا: قد قال يحيى في رواية: يكتب حديثه".

وسرده البيهقي في "الكبرى" و "المعرفة" من طرق أخرى [1] ، فهو لم يظن أن (ابن نافع) يخفى، ويقسو ابن التركماني في كثير من المواطن على البيهقي دون سبب، عفا الله عنه.

ثانيا: ما استبعده ابن فتحون هو البعيد، فمن أين له أن أسماء انكشفت أمام علي رضي الله عنه؟! وهل يستلزم تغسيل أسماء لفاطمة أن تنكشف أسماء أمام علي، فضلا عن الخلوة وغيرها من المحاذير، فلعل عليا رضي الله عنه قام في تهيئة أسباب الغسل، وقامت هي بدورها في التغسيل نفسه "ويجوز أن تكون فاطمة رضي الله عنها أوصت إلى كل واحد منهما"[2] على حدة.

ثالثا: أما استشكال ابن التركماني، فهو مأخوذ من كلام البيهقي في "الخلافيات" (مسألة رقم 168)، قال عقب أثر الشافعي السابق الذي فيه وصية فاطمة أن تغسلها أسماء وعلي، قال: "هذا عجيب، فإن أسماء كانت في ذلك الوقت عند أبي بكر، وقد ثبت أنه لم يعلم بوفاة فاطمة، كما في "الصحيح" أن عليا دفنها ليلا، ولم يعلم أبا بكر، فكيف يمكن أن تغسلها زوجته ولا تعلم، وورع أسماء يمنعها أن تفعل ذلك ولا تستأذن زوجها".

ثم أجاب على هذا الاستشكال بقوله: "إلا أن يقال: إنه يحتمل أن يكون علم وأحب أن لا يرد غرض علي في كتمانه منه، لكن الأشبه أن يتحقق على أن أسماء ستعلمه، وأنه علم أنه علم ولو نوى حضوره، والأولى إن ثبت هذا أن يقال: محتمل — والله أعلم — أن أبا بكر علم وأن عليا علم بعلمه بذلك، وظن أنه سيحضر من غير استدعاء منه له، وظن أبو بكر أنه سيدعوه، وأنه لا يرى حضوره، والله أعلم".

---

[1] ومما لم نذكره من طرق لتغسيل علي وأسماء لفاطمة رضي الله عنها:

1- ما أخرجه البيهقي في "المعرفة" (3 / 131- 132 / رقم 2077) من طريق محمد بن يونس ثنا يعقوب بن محمد الزهري ثنا عبيد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أسماء بنت عميس، قال: "لما ماتت فاطمة رضي الله عنها غسّلها علي بن أبي طالب رضي الله عنه".

2- ما أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (8 / 28)، قال: "أخبرنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب ثنا عبد العزيز بن أبي حازم عن محمد بن موسى أن علي بن أبي طالب غسّل فاطمة".

[2] من كلام محب الدين الطبري في "ذخائر العقبى" (ص 53).

ونقله – باختصار – وارتضاه ابن حجر في "التلخيص الحبير" (2 / 143).

رابعا: وهمّي من إيراد تغسيل علي وأسماء بنت عميس لفاطمة أن أدلل على نكارة القصة المبحوثة، وهكذا فعل الجورقاني وابن الجوزي وابن زبر، كما تقدم، ونصص عليه غير واحد من العلماء المحققين، وإليك جملا من كلامهم في ذلك.

* محب الدين الطبري.

قال في "ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى" (ص 103)، قال بعد أن ساق خبر تغسيل أسماء بنت عميس ثم أردفه بهذه القصة، ثم قال: "وهو – أي خبر هذه القصة – مضاد لخبر أسماء المتقدم".

* ابن حجر العسقلاني.

قال في "التلخيص الحبير" (2 / 143) بعد تحسينه لإسناد تغسيل أسماء وعلي لفاطمة رضي الله عنهم: "هذا إن صح يبطل ما روى أنها غسّلت نفسها وماتت، وأوصت أن لا يعاد غسلها ففعل عليّ ذلك".

وعلى كل حال، سواء صح خبر تغسيل علي وأسماء لفاطمة أو لم يصح، فإن قصتنا تبقى ضعيفة للعلل المذكورة آنفا، وعلى هذا تكاد تجمع كلمة النقاد من الحفاظ، ومضى قسم كبير منهم، وبقي:

* ابن كثير.

قال في "البداية والنهاية" (6 / 338) في (حوادث سنة إحدى عشرة) ما نصه: "وأما ما روي من أنها – أي: فاطمة رضي الله عنها – اغتسلت قبل وفاتها، وأوصت أن لا تغسّل بعد ذلك، فضعيف، لا يعوّل عليه، والله أعلم".

* الشوكاني.

قال في "الفوائد المجموعة" (ص 270 / رقم 200): "حديث: إن فاطمة رضوان الله عليها غسّلت نفسها قبل موتها، ولبست كفنها، فاكتفى علي رضي الله عنه بذلك، لا يصح".

وأخيرا، ألفت النظر والانتباه إلى أن سراج الدين أبا حفص الغزنوي الحنفي (ت 773 هـ) قال في "الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة" (ص 47): "روي أن فاطمة رضي الله عنها غسّلتها أم أيمن حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم، والدة أسامة بن زيد رضي الله عنه"، وهذا من انفراداته، ولم أعلم منشأ خطئه فيه، ولكنه غير صحيح، والله الهادي، وله الحمد – سبحانه – على تتميم الصالحات، والتوفيق للخيرات.

***

البلاغة القرآنية:

تصوير القرآن الكريم لأعمال الكفار والمشركين
(دراسة بيانية تحليلية لبعض الآيات القرآنية)

إعداد: وسيم المحمدي / المدينة المنورة

البيان لغة: الكشف والإيضاح، قال تعالى: (يريد الله ليبيّن لكم)[1]، ومنه تسمية الكلام بالبيان؛ لكشفه عن المعنى المقصود، والبيان أيضا الفصاحة واللَّسَن، وفي الحديث: "إن من البيان لسحراً"، ومنه كلام بيّن، أي: فصيح، فيحمل معنى الفصاحة.[2]

البيان في اصطلاح البلاغيين: قد عرفه العلماء بتعاريف شتى، إلا أن أشملها وأجمعها أنه "علم يعرف به إيراد المعنى الواحد المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[3].

وإذا تأملنا في كتاب الله عز وجل نجده يعرض المعنى الواحد في أساليب شتى، ونظوم متعددة، وقوالب مختلفة، يتلاءم كل منها مع سياق، ويناسب المقام الذي ورد فيه، وبذلك يؤدي المعنى على أبلغ وجه وأكمله، وليس أنه يقوي المعنى فقط باستخدام هذه الأساليب بل ويثبتها في الذهن ويرسخها فيه.

وعلى سبيل المثال نتطرق إلى بعض الآيات القرآنية التي تدور حول بيان أعمال الكفار في الدنيا، وما تؤول إليها في الآخرة، ونتعرض لأساليب القرآن المختلفة حسب اختلاف الأحوال، المتناسبة للمقام الذي أوردت فيه، وننظر في طرقه المختلفة في أداء المعنى الواحد في ضوء أقوال علماء البلاغة نظرة تأمل وتدبر تكشف عن إعجازه وبلاغته.

- **قال الله تعالى: (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)[4].**

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف.

فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور؛ لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان، ولكونها لغير الله عزوجل وعلى غير أمره؛ برماد طيرته الريح العاصف فلا

([1]) النساء: 26.

([2]) ينظر: لسان العرب مادة (بين)، ومقاييس اللغة مادة (بين)، ومختار الصحاح مادة (ب ي ن).

([3]) المنهاج الواضح في البلاغة ص82.

([4]) إبراهيم: 18.

يقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة الحاجة إليه؛ فلذلك قال: (لا يقدرون مما كسبوا على شيء)، لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء، فلا يرون له أثرا من ثواب ولا فائدة نافعة، فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، موافقا لشرعه.

والأعمال أربعة: فواحد مقبول، وثلاثة مردودة: فالمقبول: الخالص الصواب، فالخالص أن يكون لله لا لغيره، والصواب أن يكون مما شرعه الله على لسان رسوله، والثلاثة المردودة ما خالف ذلك.

وفي تشبيهها بالرماد سر بديع: وذلك للتشابه الذي بين أعمالهم وبين الرماد في إحراق النار وإذهابها لأصل هذا وهذا، فكانت الأعمال التي لغير الله وعلى غير مراده طعمة للنار، وبها تسعر النار على أصحابها، وينشئ الله سبحانه لهم من أعمالهم الباطلة نارا وعذابا، كما ينشئ لأهل الأعمال الموافقة لأمره ونهيه التي هي خالصة لوجهه من أعمالهم نعيما ورَوحا، فأثرت النار في أعمال أولئك حتى جعلتها رمادا. فهم وما يعبدون من دون الله وَقود النّار"[1].

ويقول الدكتور محمد أبو موسى: "الصورة فيها ريح توشك أن تدمر، فليست هي الأحوال الأليفة الوادعة والتي يشعر الإنسان فيها بحنان الوجود، والطبيعة الحاضنة الرؤوم"[2].

فالقرآن في هذه الآية جعل أعمال المشركين كأنها رماد، ولم يكتف بذلك؛ بل صوّرها رمادا أصابته ريح شديدة، وليس هذا فحسب؛ بل في يوم عاصف كذلك، فماذا عساها تبقى منه يا ترى؟ كذلك أعمال أولئك، فهل يعقل هنا استيعاب الموضوع المتحدث عنه بأكثر من هذه الدقة؟[3]

- قال تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب، أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)[4].

فالقارئ هنا يدرك لأول وهلة _ والله أعلم بمراده _ أن الأعمال في الآية الأولى هي تلك الأعمال التي تبدو في ظاهرها خيرا ويظهر أن لها بريقا ولمعانا، يدلنا على ذلك أنها شبهت بسراب بقيعة، فيظن من رآه أنه ماء، ويجدّ في طلبه، ولكنه يوقن بعد ذلك أنه واهم، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

---

(1) الضوء المنير 3/589-590.
(2) التصوير البياني ص 114.
(3) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ص98.
(4) النور: 39_40.

ومع أسلوب التشبيه هنا نجد الدقة في التعبير، وهذه الدقة تظهر في كلمة "الظمآن"، حيث اختيرت لتصوير شدة الحاجة، والضرورة الملحة على طلب الماء، كذلك التعبير بـ"شيئا" بدل كلمة "ماء"، أي: لم يجد أي شيء ممكن الوجود له، ثم ما أروع ما ختمت به الآية الكريمة: (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب).

أما النوع الثاني من الأعمال فهو السيئ في ظاهره وباطنه، فقد جاء تشبيهها في الآية الثانية بهذه الظلمات الكثيفة في بحر لجي، وفيه الأمواج المتلاطمة بعضها فوق بعض، ثم من فوق هذه الأمواج السحب المتلبدة، حتى إن الإنسان إذا أخرج يده لم يكد يراها.

ثم نتأمل في دقة التعبير، حيث جيء بكلمة "أخرج" وكلمة "لم يكد"، ثم ما أجمل ما ختمت به الآية: (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)[1].

قال الزمخشري: "شبه أعمالهم أولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا، ولم يكلفه خيبة وكمدا أنه لم يجد شيئا كغيره من السراب، حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، ولا يقتل ظمأه بالماء، وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب"، ثم قال: "ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له"[2].

وما أحسن كلاما وأحلاه ما قاله الدكتور أبو موسى في قوله تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب...الآية) حيث يقول: "...ونجد في آية السراب الحيرة والغربة والضلال، يمثل ذلك في قصة الظامئ اللاهث الذي أنكرته الصحراء بجفافها المحرقة، وأخذت تعبث به في قوة واحتقار، وتشغله بسرابها المضلل، ثم ترى فيها الجفاف والجمود والخراب والموت والتيه، وهذا كله أشبه بما تنبعث منه هذه الأعمال من قلوب خربة أشبه بالقيعة، لا ترى فيها الخير إلا ضروبا من الخداع والتزوير.

والإطار الذي تتحرك فيه الصورة بأحداثها هو الصحراء، وهي ليست صحراء أليفة، وإنما هي صحراء موات لا ماء ولا حياة، وإنما فيها هذا العذاب، أو هذه المحاولة العنيدة التي تستهدف حياة الإنسان الظامئ والذي يفر لاهثا وراء السراب، يريد الإفلات بحياته"[3].

- قال الله عز وجل: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)[4].

([1]) ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها ص98_99.
([2]) الكشاف 249/3.
([3]) التصوير البياني ص114_115.
([4]) الفرقان: 23.

هنا يقرر الله عز وجل أن هذه الأعمال مع كثرتها سوف تتلاشى، بحيث لا يبقى لها أثر مهما أريد لها أن تضخم، ومهما أحدثت بها من هالات، ومهما اصطنع لها من دعاية، فهي في الآخرة ترجع إلى العدم بحيث لا تغني عن الحاجة، ولا تنقذ صاحبها من البوار والهلاك.

قال ابن كثير رحمه الله: "...وشبهت _ أي: الأعمال _ في ذلك _ أي: في عدم النفع _ بالشيء التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية"[1].

وقال الزمخشري: "...مثلت حال هؤلاء وأعمالهم التي عملوها في كفرهم من صلة رحم، وإغاثة ملهوف، وقرى ضيف، ومنٍّ على أسير، وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه، فقدم إلى أشيائهم، وقصد إلى ما تحت أيديهم فأفسدها ومزقها كل ممزق، ولم يترك لها أثرا ولا عشيرا"[2].

وهكذا فقد رأينا في الآيات الأربعة تصوير القرآن الكريم المعجز لأعمال الكفار وما تؤول إليه في الآخرة، وقد جاء بها في قوالب متعدد بطرق مختلفة، كلها تثبت المعاني في الذهن، وترسخها في القلب، حتى تجعلها كأنها لا شيء في عالم الواقع؛ بل شيء مخوف ومخدع للإنسان.

فالآية الأولى تصور أعمالهم بصورة الرماد الذي اشتدت به الريح في يوم عاصف فتطاير في كل ناحية، ولم يبق منه شيء.

والآية الثانية تصورها بصورة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء، وليست بشيء في الحقيقة.

والآية الثالثة تصورها بصورة ظلمات متراكبة متراكمة، لا يمكن الرؤية فيها ولا النفاذ منها.

والآية الرابعة تجعلها هباء منثورا متطايرا لا أثر له.

فأظهرت هذه الآيات ضلال أعمال الكافرين وبطلانها وبوارها في صور متعددة، لكل منها خصائصها وسماتها ودلالاتها الخاصة في ضوء المعنى العام[3].

وإذا كانت الأمثال في القرآن يستفاد منها أمور كالتذكير والوعظ والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس[4]؛ فقد أدت هذه الآيات إلى كل ذلك في أحسن أسلوب وأبلغ تعبير. والله تعالى أعلم!.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

***

([1]) تفسير القرآن العظيم 315/3.

([2]) الكشاف 279/3.

([3]) أفنان البيان ص12.

([4]) ينظر: الضوء المنير 593/3.

أعلام الإسلام:

تحفة الأخباري بترجمة البخاري

للإمام الحافظ ابن ناصر الدمشقي (777- 842 هـ)

تحقيق وتعليق: الشيخ محمد بن ناصر العجمي (الكويت)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم النبيين والمرسلين، وأكرم الأولين والآخرين، المبعوث هاديا للأمة، كاشفا للغمة، والمنعوت بالرأفة والرحمة، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الكرام المنتجبين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما.

وبعد:

فهذه ترجمة محررة، وحلية محبرة، تكشف عن شمائل سلطان المحدثين، بل أمير المؤمنين، المقدَّم في هذا الشأن على أقرانه، أبي عبد الله البخاري أوحد زمانه، سميتها: "تحفة الأخباري بترجمة البخاري".

فهو: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَذدِزْبة الجُعفي، مولاهم البخاري، الإمام العَلَمُ، الحافظ أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله بن أبي الحسن رحمة الله عليه.

وجدُّه بذدزبة [1] مختلف فيه، فقيل فيه: بَرْدِزْبَه [2] ، (بالراء مكان الذال المعجمة)، ووجدته مقيدا في موضعين يَزدِبَه بخط أبي جعفر بن أحمد بن محمد العبدري فيما قرأه على أبي مروان عبد الملك بن عبد الله بن مدرَك العبدري في غرة شهر ربيع الآخر من سنة ست وثمانين وأربع مائة.

وبَذْدزبَةُ بالبخارية، ومعناها: الزَّارِع فيما ذكره أبو سعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر البخاري [3] ، وبذدِزْبة كان مجوسيا مات عليها، وأسلم ولدهُ المغيرة على يدي اليمان بن أخنس بن خُنَيس والي بخارى جدِّ المُسنَدِي أبي جعفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان الجعفي، قال أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني الحافظ: "ومحمد بن إسماعيل جعفي"، وقيل: لأن أبا جده أسلم على يدي أبي جد عبد الله بن محمد المسندي. [4]

---

[1] ذكر هذا التقييد المصنف في كتابه "توضيح المشتبه" (1 / 441) وقال: "وقيدتُه عن بعض المتقنين".

[2] "الإكمال" للحافظ ابن ماكولا (1 / 259)، وعنه النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 67 / 1)، والذهبي في "المشتبه" (1 / 63)، كما أشار إلى ذلك المصنف في "توضيح المشتبه" (1 / 441)، والحافظ ابن حجر في "هدي الساري" (مقدمة فتح الباري) ص 477.

[3] "تاريخ دمشق" (15/ 50 ب).

[4] "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي(2 / 6)، و"تاريخ دمشق" لابن عساكر (15 / 39 ب).

وقال أيضا: سمعت الحسن بن الحسين، أبا علي البزار البخاري يقول: وُلد محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة، انتهى. [5]

وقال أبو عبد الله محمد بن يوسف الفَرِبْري: ثنا أبو جعفر محمد بن أبي حاتم الورّاق: قال لي أبو عمرو المستنير بن عتيق: سألت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل متى ولدت ؟ فأخرج إليّ خطّ أبيه: وُلد محمد بن إسماعيل يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة مضت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة [6] **، قال مؤلفه رحمه الله: وكان مولده ببخارى وأضرَّ في صِغره.**

قال الحافظ أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي في كتابه "كرامات أولياء الله عز وجل": أنا أحمد بن محمد بن حفص، أنا محمد بن أحمد بن سليمان، أنا خَلَف بن محمد، [حدثنا محمد بن أحمد بن] [7] **الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل – يعني البخاري – في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه، قد ردّ الله عز وجل على ابنك بصره لكثرة بكائك، أو كثرة دعائك – الشك من أبي محمد البلخي – فأصبحت وقد ردّ الله تعالى عليه بصره.** [8]

وحدّث به أبو إسحاق بن أحمد المستملي البلخي ببلخ فقال: سمعت محمد بن يوسف بن ديحان البخاري ببخارى، ثنا أبو عبد الله محمد بن محمد البامياني ببخارى، حدثني أبوالحسن محمد بن نوح، سمعت محمد بن أحمد بن الفضل البلخي، سمعت أبي يقول: كان محمد بن إسماعيل قد ذهب بصرُه في صباه، وكانت له والدة متعبدة، فرأت إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في المنام فقال لها: إن الله تبارك وتعالى قد ردّ بصر ابنك عليه بكثرة دعائك، قال: فأصبحت وقد ردّ الله عز وجل عليه بصره. [9]

---

[5] "أسامي من روى عنهم البخاري" (92 / الظاهرية حديث برقم 389)، و "الكامل" لابن عدي (1 / 140)، و "تاريخ بغداد" (2 / 6)، و "تقييد المهمل" لأبي علي الغساني (1 / 14ب – نسخة الأوقاف ببغداد – فكّ الله أسرها – 1060)، و "تهذيب الكمال" للمزي (3 / 1170).

[6] "أسامي من روى عنهم البخاري" (92 / أ)، و "تاريخ دمشق" (15 / 40 ب).

[7] وقع في الأصل: "خلف بن محمد بن الفضل البلخي"، ووضع عليه الناسخ علامة التضبيب إشارة إلى أنه خطأ، ولكنه لم يصححه في الهامش، والتصويب من "سير أعلام النبلاء".

[8] أخرجه اللالكائي في "كرامات أولياء الله" (ص 247)، ومن طريقه الذهبي في "السير" (12 / 392، 393).

[9] "تقييد المهمل" للغساني (1 / 16 ب).

وخرّجه الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب في "تاريخه" من حديث علي بن محمد بن الحسن الفقيه، ثنا خلف بن محمد الختام [10] ، سمعت أبا محمد المؤذن عبد الله بن محمد بن إسحاق السمسار، سمعت شيخي يقول: ذهبت عينا محمد بن إسماعيل في صغره، فرأت والدته في المنام إبراهيم الخليل عليه السلام فقال لها: يا هذه، قد ردّ الله على ابنك بصره، لكثرة بكائك، أو لكثرة دعائك، قال: فأصبح وقد ردّ الله عز وجل عليه بصره. [11]

وقد بلغنا أن أباه الحسن إسماعيل، كان من خيار الناس، ووجدت في "التاريخ الكبير" لولده ما نصه: إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجُعفي أبوالحسن، رأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه وسمع مالكا. [إن] لم يكن هذا والد البخاري فلا أدري [من] هو؟ وأبوالحسن والد البخاري [12] ، لما حضرته الوفاة، قال لأحمد بن حفص: لا أعلم من مالي درهما من شبهة ولا من حرام [13] . ولما توفي نشأ ولده أبو عبد الله يتيما في حجر أمه فأسلمته إلى معلم إلى أن كمل له عشر سنين.

روينا عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم وراق البخاري قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: كيف كان بدءُ أمرك في طلب الحديث؟ قال: أُلهِمتُ حفظ الحديث وأنا في الكُتّاب.

قلت: كم كان سنّك؟ قال: عشر سنين، أو أقل. ثم خرجت من الكُتّاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبي الزبير، عن إبراهيم، فقلت: يا شيخُ، إن أبا الزبير لم يروِ عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه، ثم خرج فقال لي: كيفَ هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي، عن إبراهيم، فأخذ القلم مني، وأحكم كتابه، فقال لي: صدقت. فقال له بعض أصحابه: ابن كم كنت حين رددت عليه؟قال: ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت في ست عشرة سنة، كنت قد

---

[10] كذاوقع في الأصل، والصواب: "الخيام" كما في "تاريخ بغداد" و "تقييد المهمل" (1 / 16 ب) نقلا عن "تاريخ بغداد"، و "تهذيب الكمال".

[11] "تاريخ بغداد" (2 / 10)، ومن طريقه المزي في "تهذيب الكمال" (3/ 1171).

[12] من قوله: "ووجدت" إلى قوله: "البخاري" من الحاشية، وما بين المعقوفين من سياق الكلام، وانظر: "التاريخ الكبير" (1 / 342).

[13] "السير" (12/ 447)، و "طبقات الشافعية" للسبكي (2/ 213).

حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء [14] ، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي وتخلفتُ بها في طلب الحديث. [15]

فلما طَعَنتُ في ثماني عشرة سنة، جعلت أصنف قضايا الصحابة والتابعين وأقاويلهم، وصنفت كتاب "التاريخ" عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة، وقَلَّ اسم في "التاريخ" إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهت تطويل الكتاب. [16]

وقال أبو جعفر أيضا: سمعت البخاري يقول: لو نُشر بعض أستاذيَّ هؤلاء لم يفهموا كيف صنّفت كتاب "التاريخ" ولا عرفوه، ثم قال: صنته ثلاث مرات [17] . قال: وقال – يعني البخاري –: أخذ إسحاق بن راهويه كتاب "التاريخ" الذي صنفتُ، فأدخله على عبد الله بن طاهر، فقال: أيها الأمير، ألا أريك سحرا ؟ فنظر فيه عبد الله بن طاهر، فتعجب منه وقال: لستُ أفهم تصنيفه. [18]

قال القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي: سمعت أبا العباس بن سعيد يقول: لو أن رجلا كتب ثلاثين ألف حديث لما استغنى عن كتاب "تاريخ محمد بن إسماعيل البخاري". خرّجه الخطيب البغدادي في "تاريخه" من طريق الهاشمي [19] . وقد بلغ رواة الحديث في "كتاب التاريخ" هذا قريبا من أربعين ألف رجل وامرأة فيما قاله أبو الحسين بن محمد الماسرجِسي [20] ، وهذا هو "التاريخ الكبير".

وكذا "التاريخ الأوسط".

و "الصغير" أيضا.

وله من المصنفات غير ذلك منها:

كتاب "القراءة خلف الإمام".

وكتاب "رفع اليدين في الصلاة".

---

[14] يعني أصحاب الرأي، قاله الحافظ في "مقدمة الفتح" ص **478**.

[15] "تاريخ بغداد" (**2 / 7**)، و "تاريخ دمشق" (**15 / 41** أ)، و "تقييد المهمل" (**1 / 4** ب)، و "تهذيب الكمال" (**3 / 1170**)، "سير أعلام النبلاء" (**12 / 393**)، و "طبقات الشافعية" للسبكي (**2 / 216**)، و "مقدمة الفتح" ص **478**.

[16] "تاريخ بغداد" (**2/ 7**)، و "تقييد المهمل" (**1 / 4** ب)، و "تهذيب الكمال" (**1 / 1170**)، و "السير" (**12 / 40**)، و "طبقات" السبكي (**2 / 216**)، و "مقدمة الفتح" ص **478**.

[17] "تاريخ بغداد" (**2 / 7**)، و "تقييد المهمل" (**1 / 4** ب)، و "تاريخ دمشق" (**15 / 47** أ)، و "تهذيب الكمال" (**1 / 1170**)، و "السير" (**12 / 403**)، و "طبقات" السبكي (**2 / 221**)، و "مقدمة الفتح" ص **487**.

[18] "تاريخ بغداد" (**2 / 7**)، و "تقييد المهمل" (**1/ 4** ب)، و "تاريخ دمشق" (**15 / 47** أ)، و "تهذيب الكمال" (**1 / 1170**)، و "السير" (**12 / 403**)، و "طبقات" السبكي (**2 / 221**).

[19] "تاريخ بغداد" (**2 / 8**)، و "تاريخ دمشق" (**15 / 47** أ)، و "تهذيب الكمال" (**3 / 1170**).

[20] في الأصل المخطوط بفتح الجيم، والمثبت من كتب الأنساب.

وكتاب "الأدب".

وكتاب "الضعفاء الكبير" و "الصغير".

وكتاب "المبسوط" الذي جمع فيه كتبه على الأبواب فيما قيل.

وكتاب "الفوائد" الذي ذكره الترمذي في "جامعه" في مناقب طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه. [21]

وكتاب "أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"، وأشار إليه في "التاريخ الكبير".

وكتاب "خلق أفعال العباد".

وقال محمد بن أبي حاتم الورّاق فيما رُوِّينا عنه: سمعته — يعني البخاري — يقول: كنت أختلف إلى الفقهاء بمرو وأنا صبي، فإذا جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت: اثنين، وأردت حديثين، فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم: لا تضحكوا، فلعله يضحك منكم يوما، فكان كما قال الشيخ. [22]

وقال أبو جعفر الوراق أيضا: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: قال لي محمد بن سلام — يعني البيكندي — [23]: انظر في كتبي فما وجدتَ فيها من خطأ فاضرب عليه، كي لا أرويَه، قال: ففعلت ذلك، وكان محمد بن سلام كتب عند الأحاديث التي أحكمها محمد بن إسماعيل: رضي الفتى، وفي الأحاديث الضعيفة: لم يرضَ الفتى. فقال له بعض أصحابه: من هذا الفتى؟ فقال: هو الذي ليس مثله، محمد بن إسماعيل. وقد بلغنا أن البخاري فعل هذا بكتب البيكندي وهو ابن سبع عشرة سنة أو دونها [24]. ولم يزل رحمه الله مجتهدا من صغره إلى آخر عمره.

خرَّج الحافظ أبو بكر الخطيب في "تاريخه" من طريق أحمد بن محمد بن عمر بن بسام[25] المروزي: سمعت أحمد بن سيار يقول: ومحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله، طلب العلمَ، وجالس الناس، ورحل في الحديث، ومَهَر فيه وأبصر، وكان حسن المعرفة، حسن الحفظ، وكان يتفقه. [26]

---

[21] "جامع الترمذي" (5 / 645).

[22] "السير" (12 / 401).

[23] هو: محمد بن سلام بن الفرج البيكندي، كان من أوعية العلم، وأئمة الأثر، وهو من شيوخ البخاري، توفي سنة 225 هـ.

[24] "تاريخ بغداد" (2 / 24)، و "تقييد المهمل" (1 / 10 ب)، و "تاريخ دمشق" (15 / 47 ب)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "مقدمة الفتح" ص 483.

[25] كذا في الأصل وهوخطأ، والصواب: "بسطام" كما في "تاريخ بغداد"، و "تهذيب الكمال" (1 / 324 ط. الرسالة).

[26] "تاريخ بغداد" (2 / 6)، و "تاريخ دمشق" لابن عساكر (15 / 39 ب)، و "تهذيب الكمال " (3 / 1170)، و "السير" (12 / 434)، و "مقدمة الفتح" ص 485.

كانت رحلة البخاري رحمه الله في طلب الحديث إلى معظم البلاد، وكتب بخراسان، والجبال، ومُدن العراق كلها، وبالحجاز والشام ومصرَ، وأخذ عن الحفاظ النقاد، لقي مكيَّ بن إبراهيم بخراسان، وأبا عاصم بالبصرة، وعبيد الله بن موسى بالكوفة، وكتب عن خلق حتى عن أقرانه كأبي محمد الدارمي، وأبي زرعة، وأبي حاتم الرازيين، وأشباههم حتى كتب عمن هو دونه، كعبد الله بن حماد الآمليّ، وحسين القباني وغيرهما.

قال ورّاقُهُ محمد بن أبي حاتم: سُئل محمد بن إسماعيل عن خبر حديث فقال: يا أبا فلان، تُراني أُدلِّس، تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل لي فيه نظر، وتركت مثله أو أكثر منه لغيره لي فيه نظر. [27]

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد غنجار في كتابه "تاريخ بخاري": ثنا خلف بن محمد، سمعت الحسين بن الحسن بن [28] **الوضاح، ومكي بن خلف بن عفان قال: سمعنا محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل، ولم أكتب عمن قال: الإيمان قول.** [29]

وقال غُنجار أيضا: ثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن عمر المقرئ، سمعت أبا حسان مهيب بن سُليم، سمعت جعفر بن محمد القطان إمام الجامع بكرمينية، سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: كتبت عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكرُ إسناده. [30]

وقال أبو جعفر الورّاق: سمعت البخاري يقول قبل موته بقليل: كتبتُ عن ألف وثمانين رجلا، كل يعتقد أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص. [31]

ورُوِّينا عن البخاري أنه قال مرة لورّاقه أبي جعفر محمد بن أبي حاتم: لم تكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء، كنتُ إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وعلة الحديث، إن كان الرجل فهمها، فإن لم يكن سألته أن يخرج إليّ أصله ونَسختُه. [32]

قال خلف بن محمد: ثنا إسحاق بن أحمد بن خلف، سمعت أبا عيسى محمد بن عيسى الترمذي يقول: كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فلما قام من عنده قال: يا أبا

---

[27] "تاريخ بغداد" (2 / 25)، و "تاريخ دمشق" (15 / 47 ب).

[28] كذا في الأصل، وفي "شرح اعتقاد أهل السنة" للالكائي: "بن محمد ...".

[29] أخرجه اللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنة" (5 / 889)، وابن عساكر في "التاريخ" (15 / 41 ب).

[30] "تاريخ بغداد" (2 / 10)، و "طبقات الحنابلة" لابن أبي يعلى (1 / 275)، "تهذيب الكمال" (3 / 1171).

[31] "سير أعلام النبلاء" (12 / 395).

[32] "سير أعلام النبلاء" (12 / 406).

عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبوعيسى: فاستجيب له فيه.[33]. جعله الله زينا للأمة وقدوة للأئمة.

أخذ الحفاظ عنه وسمعوا منه.

روى عنه مسلم بن الحجاج خارج "صحيحه"، والترمذي في "جامعه"، والنسائي في رواية ابن السني وحده عنه حيث قال في "سننه": "ثنا محمد بن إسماعيل البخاري"، وساق بسنده عن الزهري، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعنة ...."[34] الحديث.

ورواه حمزة الكناني، وابن حيّويه النيسابوري، وغيرهما، عن النسائي قال: ثنا محمد بن إسماعيل فقط، ووقع من طريق الصوري، عن ابن النحاس، عن حمزة الكناني، عن النسائي: ثنا محمد بن إسماعيل وهو أبوبكر الطبراني، ويحتمل أن يكون محمد بن إسماعيل هو ابن علية فإنه يروي عنه كثيرا، وقد روى النسائي في كتابه "الكنى" عن عبد الله بن أحمد بن عبد السلام الخفاف عن البخاري .فقيل: هذه قرينة في أنه لم يلق البخاري، والله أعلم.

وممن روى عنه: إبراهيم بن إسحاق الحربي، وصالح بن محمد جزرة، وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان، ومحمد بن عبد الله الحضرمي مطين، وأبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن نصر المروزي، وخلق لا يُحصَون.

قال الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عتاب الأعين البغدادي، فيما خرّجه الحافظ أبو بكر الخطيب في "تاريخه" من طريق أبي العباس الفضل بن إسحاق بن الفضل البزّار[35]: ثنا أحمد بن المهنا[36] العابد، ثنا أبو بكر الأعين قال: كتبنا عن محمد بن إسماعيل على باب محمد بن

---

[33] "تاريخ بغداد" (**2 / 26**)، و "طبقات" السبكي (**2 / 221**)، و "السير" (**12 / 433**)، و "مقدمة الفتح" ص **484**.

[34] أخرجه النسائي في "سننه" (**4 / 125، 126**).

وقال الحافظ المزي رحمه الله في "تحفة الأشراف" (**12 / 97**): "رواه أبو بكر ابن السني عن النسائي، عن "محمد بن إسماعيل البخاري".

وفي سائر الروايات عن النسائي: عن "محمد بن إسماعيل" حسب – لم يقولوا: "البخاري"، وفي نسخة محمد بن علي الصوري [بخطه]: "محمد بن إسماعيل – وهو أبو بكر الطبراني".

وذكر ابن منده في كتابه "الإيمان" (**1 / 266**) قال: أبنا حمزة، ثنا النسائي أبوعبد الرحمن، قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري ... فذكره.

فائدة: قال الذهبي في "السير" (**12 / 397**): "وقيل: إن النسائي روى عنه في الصيام من "سننه" ولم يصح، لكن قد حكى النسائي في كتاب "الكنى" له أشياء عن عبد الله بن أحمد الخفاف، عن البخاري" ا هـ.

[35] تصحف في "تاريخ بغداد" إلى: البزار، والتصويب من "السير".

[36] كذا في الأصل، والصواب: "المنهال" كما في "تاريخ بغداد" و "تهذيب الكمال".

يوسف الفَريابي، وما في وجهه شعرة. قلت: فقلت: ابن كَم كنتَ ؟ قال: ابن سبع عشرة سنة[37].

وقال الخطيب في "تاريخه": أنا القاضي أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري بنيسابور، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد الفقيه البلخي، سمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله البلخي الصفار، يقول: سمعت أبا إسحاق المستملي، يروي عن محمدبن يوسف الفربري، أنه كان يقول: سمع كتاب " الصحيح" لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يروي عنه غيري [38].

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي فيما أنبئنا عنه: "الصفار" لا يُدرَى من هو؟ انتهى.

وآخر من روى عنه "صحيحه" فيما ذكره أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري الحافظ في تاريخ "نسف"، وأبونصر ابن ماكولا وغيرهما: أبو طلحة منصور بن محمد بن علي بن مزينة، وقيل: قرينة من سوية البزدوي النسفي الدهقان. مات سنة تسع وعشرين وثلاث مائة، وهو ثقة لكن ضعفت روايته من جهة صغره [39].

وآخر من حدّث عن البخاري ببغداد فيما ذكره الخطيب في "تاريخه" الحسين بن إسماعيل المحاملي [40]، وآخر من زعم أنه سمع منه: أبو ظهير عبد الله بن فارس بن محمد بن علي بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي البلخي الذي مات سنة ست وأربعين وثلاث مائة. [41]

قال الفربري فيما خرجه الخطيب في "تاريخه": ثنا محمد بن أبي حاتم، قال: قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل: تحفظ جميع ما أدخلت في المصنف؟ قال: لا يخفى عليّ جميع ما فيه. [42]

---

[37] "تاريخ بغداد" (2 / 15)، و "تاريخ دمشق" (15 / 42 ب)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1240)، و "السير" (12 / 401)، و "طبقات" السبكي (2 / 217)، وكلمة "قلت" الموجودة في الأصل مقحمة لا وجود لها في "تاريخ بغداد".

[38] "تاريخ بغداد" (2 / 9)، و "تاريخ دمشق" (15 / 46 ب)، و "طبقات الحنابلة" (1 / 274)، و "تهذيب الأسماء واللغات" للنووي (1 / 73 / 1)، و "وفيات الأعيان" لابن خلكان (4 / 190)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1170)، و "السير" (12/ 398، 469)، و "مقدمة الفتح" ص 491.

[39] "الإكمال" لابن ماكولا (7 / 243)، و "السير" (15 / 279)، و "المشتبه" (1 / 65).

[40] "تاريخ بغداد" (2 / 5).

[41] لمزيد التفصيل في حاله، انظر: "لسان الميزان" لابن حجر (3 / 325).

[42] "تاريخ بغداد" (2 / 9)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1170)، و "السير" (12 / 403)، و "طبقات" السبكي (2 / 221).

وخرّج أيضا من طريق محمدبن أبي حاتم الوراق: سمعت حاشد بن إسماعيل يقول: كان أبو عبد الله محمد بن إسماعيل يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام، فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له: إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما معناك فيما تصنع ؟

فقال لنا بعد ستة عشر يوما: قد أكثرتما عليّ وألححتما، فاعرضا عليّ ما كتبتما. فأخرجنا ما كان عندنا، فزاد على خمسة عشر ألف حديث، فقرأها كلها على [43] ظهر القلب، حتى جعلنا نُحكِم كُتُبنا على حفظه. ثم قال: أترون أني أختلف هدرا وأضيع أيامي؟! فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد [44].

قال: وكان أهل المعرفة من أهل البصرة يغدون [45] خلفه في طلب الحديث، وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه، ويُجلسونه في بعض الطريق، فيجتمع عليه ألوف، أكثرهم من يكتب عنه. قال: وكان أبو عبد الله عند ذاك شابا [46] لم يخرج وجهه [47].

وخرّج الخطيب وغُنجار في "تاريخيهما" من طريق أبي ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي: سمعت أبا معشر حمدويه بن الخطاب يقول: لما قَدِم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل من العراق قدمتَه الآخرة، وتلقاه من تلقاه من الناس، وازدحموا عليه، وبالغوا في بره، فقيل له في ذلك، وفيما كان من كرامة الناس، وبرّهم له، فقال: فكيف لو رأيتم يوم دخولنا البصرة؟ [48]

* * *

[43] في "تاريخ بغداد": "عن".

[44] "تاريخ بغداد" (2 / 14، 15)، و "تاريخ دمشق" (15 / 42 ب)، و "طبقات الحنابلة" (1 / 276، 277)، و"السير" (12 / 408)، و "طبقات" السبكي (2 / 217)، و "مقدمة الفتح" ص 478.

[45] في "تاريخ بغداد" : "يعدون".

[46] في "تاريخ بغداد": "شاب".

[47] "تاريخ بغداد" (2 / 15)، و "تاريخ دمشق" (15 / 42 ب)، و "طبقات الحنابلة" (2 / 276، 277)، و "السير" (12 / 408)، و "طبقات" السبكي (2 / 217)، و "مقدمة الفتح" ص 478.

[48] "تاريخ بغداد" (2 / 18، 19)، و "تاريخ دمشق" (15 / 51 ب)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1172)، و "السير" (12/ 433)، و "مقدمة الفتح" (ص 487.

وغُنجار هو الحافظ محدث ما وراء النهر: محمد بن أحمد بن محمد البخاري صاحب "تاريخ بخاري"، توفي سنة 412 هـ. "تذكرة الحفاظ" (3 / 1052).

المبشرون بالجنة:

السيدة عائشة رضي الله عنها من المبشرات بالجنة

فهد بن عبد الرحمن الشويب

بشر النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق أبوبكر رضي الله عنه بالجنة، وكانت أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأيا في العامة. قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل.

عن مسلم البطين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عائشة زوجي في الجنة".[1]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله ! مَن مِن أزواجك في الجنة؟ قال: "أما إنك منهن. قالت: فخيل لي إن ذاك أنه لم يتزوج بكرا غيري".[2]

وعنها رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فاطمة رضي الله عنها، قالت: فتكلمت أنا، فقال: "أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟" قلت: بلى، قال: "فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة".[3]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عائشة رضي الله عنها اشتكت، فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فقال: "يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر".[4]

وعن عبدالله بن زياد الأسدي قال: "سمعت عمار بن ياسر رضي الله عنه يحلف بالله أنها زوجته صلى الله عليه وسلم يعني عائشة رضي الله عنها في الدنيا والآخرة".[5]

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنه ليهون عليّ أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة".[6]

وعن عائشة رضي الله عنها، أن جبريل عليه السلام جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة".[7]

---

[1] رواه ابن سعد (8 / 66)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1142).
[2] رواه الحاكم في مستدركه (6743)،وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي والألباني.
[3] رواه الحاكم في مستدركه (6707)،وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (3 / 216).
[4] رواه البخاري (3488).
[5] رواه أحمد (23925)، وقال الألباني وأنا أرى أن الحديث حسن بمجموع إسنادي أبي حنيفة وأحمد، والله أعلم.
[6] رواه الترمذي (3815)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي(3880).
[7] رواه أحمد (17143)، قال الألباني في السلسلة الضعيفة (3 / 123): إسناده صحيح.

وكانت من أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة،قلت: فمن الرجال؟ قال: أبوها". [8]

فضلها النبي صلى الله عليه وسلم على النساء، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام". [9]

وفيها يقول حسان بن ثابت:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

عقيلة أصل من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل

مهذبة قد طهر الله خيمها ... وطهرها من كل بغي وباطل

فإن كان ما قد قيل عني قلته ... فلا رفعت صوتي إلي أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائط ... بها الدهر بل قول امرئ متماحل

فكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المجاهل

رأيت وليغفر لك الله حرة ... من المحصنات غير ذات الغوائل

وقد أنزل الله تعالى براءتها مما رميت به من قبل المنافقين، ووصفها الله سبحانه وتعالى بالطيبة، وطيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم، وأنها مغفور لها في الآخرة.

عن ابن عباس، {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم} [النور: 11] يريد أن الذين جاءوا بالإفك، يعني بالكذب على عائشة أم المؤمنين أربعة منكم {لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم} [النور: 11]، يريد خيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبراءة لسيدة نساء المؤمنين، وخيرا لأبي بكر، وأم عائشة ولصفوان بن المعطل {لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} [النور: 11]، يريد إشاعته "منهم"، يريد عبد الله بن أبي بن سلول {له عذاب عظيم}، يريد في الدنيا جلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين، وفي الآخرة مصيره إلى النار {لولا إذ سمعتموه}، يريد أفلا إذ سمعتموه [ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين} [النور: 12]، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار فيها، فقالوا خيرا، وقالوا: يا رسول الله، هذا كذب وزور، والمؤمنات يريد زينب زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وبريرة مولاة عائشة، وجميع أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا هذا كذب عظيم، قال الله عزوجل {لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء}

---

[8] متفق عليه (3486 – 4478).

[9] متفق عليه (5008 – 4478).

[النور: 13] يريد لو جاءوا عليه بأربعة شهداء لكانوا هم والذين شهدوا كاذبين، {فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون} [النور: 13] يريد الكذب بعينه، {ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة} [النور: 14] يريد فلولا ما من الله به عليكم وستركم، {لمسكم في ما أفضتم فيه} [النور: 14] يريد من الكذب، {عذاب عظيم} يريد لا انقطاع له، {إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم} [النور: 15] يعلم الله خلافه، {وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم} [النور: 15] يريد أن ترموا سيدة نساء المؤمنين وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبهتونها بما لم يكن فيها ولم يقع في قلبها قط إعرابها، وإنما خلقتها طيبة، وعصمتها من كل قبيح، {ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم} [النور: 16]، يريد بالبهتان الافتراء: مثل قوله في مريم {وقولهم على مريم بهتانا عظيما} [النساء: 156]، {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا} [النور: 17]، يريد مسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وحسان بن ثابت، {إن كنتم مؤمنين} [النور: 17] يريد إن كنتم مصدقين بالله ورسوله، {ويبين الله لكم الآيات} [النور: 18] يريد الآيات التي أنزلها في عائشة، والبراءة لها، والله أعلم بما في قلوبكم من الندامة فيما خضتم فيه، "حكيم" حيث حكم في القذف ثمانين جلدة، {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة} [النور: 19] يريد بعد هذا، {في الذين آمنوا} [النور: 19] يريد المحصنين والمحصنات من المصدقين، {لهم عذاب أليم} [النور: 19] يريد وجيع، {في الدنيا والآخرة} [النور: 19] يريد في الدنيا الجلد، وفي الآخرة العذاب في النار، {والله يعلم وأنتم لا تعلمون} [النور: 19] يريد سوء ما دخلتم فيه وما فيه من شدة العذاب، وأنتم لا تعلمون شدة سخط الله على من فعل هذا، {ولولا فضل الله عليكم ورحمته} [النور: 20] يريد لولا ما تفضل الله به عليكم ورحمته لندامتكم، يريد مسطحا، وحمنة، وحسان، {وأن الله رؤوف رحيم} [النور: 20] يريد من لرحمة رؤوف رحيم بكم حيث ندمتم ورجعتم إلى الحق، {يا أيها الذين آمنوا} [النور: 21] يريد صدقوا بتوحيد الله، {لا تتبعوا خطوات الشيطان} [النور: 21] يريد الزلات، {فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر} [النور: 21] يريد بالفحشاء: عصيان الله، والمنكر: كلما يكره الله، {ولولا فضل الله عليكم ورحمته} [النور: 21] يريد ما تفضل الله به عليكم ورحمكم به،{ما زكى منكم من أحد أبدا} [النور: 21] يريد ما قبل توبة أحد منكم أبدا، {ولكن الله يزكي من يشاء} [النور: 21] يريد فقد شئت أن أتوب عليكم، {والله سميع عليم} [النور: 21] يريد سميع لقولكم، عليم بما في أنفسكم من الندامة والتوبة {ولا يأتل} [النور: 22] يريد ولا يحلف، {أولوا الفضل منكم والسعة} [النور: 22] يريد ولا يحلف أبوبكر أن لا ينفق على مسطح، {أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله

وليعفوا وليصفحوا} [النور: 22] فقد جعلت فيك يا أبا بكر الفضل، وجعلت عندك السعة والمعرفة بالله وصلة الرحم، فتعطف يا أبا بكر على مسطح فإنه له قرابة وله هجرة ومسكنة ومشاهدة ورضيتها منك يوم بدر، {ألا تحبون} [النور: 22] يا أبا بكر، {أن يغفر الله لكم} [النور: 22] يريد فاغفر لمسطح، {والله غفور رحيم} [النور: 22] يريد فإني غفور لمن أخطأ، رحيم بأوليائي، {إن الذين يرمون المحصنات} [النور: 23] يريد العفائف، {الغافلات المؤمنات} [النور: 23] يريد المصدقات بتوحيد الله وبرسوله، {لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم} [النور: 23]، يقول أخرجهم من الإيمان مثل قوله في سورة الأحزاب للمنافقين {ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلا} [الأحزاب: 61]، {والذي تولى كبره منهم} [النور: 11]، يريد كبر القذف وإشاعته، يريد عبد الله بن أبي ابن سلول الملعون، {يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون} [النور: 24] يريد أن الله ختم على ألسنتهم، فتكلمت الجوارح، وشهدت على أهلها وذلك أنهم قالوا: تعالوا نحلف بالله ما كنا مشركين، فختم الله على ألسنتهم بعد ذلك، يريد يجازيهم بأعمالهم بالحق كما يجازي أولياؤه بالثواب، كذلك يجزي أعداءه بالعقاب، كقوله في الحمد {مالك يوم الدين} [الفاتحة: 3] يريد يوم الجزاء، {ويعلمون} يوم القيامة {أن الله هو الحق المبين} [النور: 25]، وذلك أن عبد الله بن أبي سلول كان يشك في الدين، وكان رأس المنافقين وذلك قول الله {يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق} [النور: 25] ويعلم ابن سلول يوم القيامة {أن الله هو الحق المبين} [النور: 25]،يريد انقطع الشك واستيقن حيث لا ينفعه اليقين، قال: {الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات} [النور:26] يريد أمثال عبد الله بن أبي ابن سلول ومن شك في الله عز وجل ويقذف مثل أم المؤمنين عائشة، ثم قال: {والطيبات للطيبين} [النور: 26] عائشة طيبها الله لرسوله عليه السلام، وعائشة بنت أبي بكر زوجتك في الدنيا وزوجتك في الجنة، عوضا من خديجة بنت خويلد وذلك عند موتها، فسر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقر بها عينا، ثم قال: {والطيبون للطيبات} [النور: 26]، يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبه الله لنفسه وجعله سيد ولد آدم، والطيبات يريد عائشة، {أولئك مبرءون مما يقولون} [النور: 26] يريد براءة الله من كذب عبد الله بن أبي ابن سلول، {لهم مغفرة} [النور: 26] يريد عصمة في الدنيا، ومغفرة في الآخرة، {ورزق كريم} [النور: 26] يريد رزق الجنة وثواب عظيم.[10]

***

[10] ذكر هذا التفسير جملة من المفسرين ومن أهل السنن، انظر الدر المنثور للسيوطي (7 / 258).

آداب إسلامية:

آداب الصلاة

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

هذه كلمة موجزة في آداب الصلاة، أريد أن أقدمها بين يدي القارئ الكريم ليعرف جيدا آداب الصلاة وسننها في الإسلام، حتى يتحلى بها أثناء لقاء الرب سبحانه وتعالى.

فإليكم بعض أهم هذه الآداب:

1 – من آداب الصلاة: السكون والوقار، وعدم العبث بالثوب أو بالأيدي أو بالحصى أو بالساعة أو العقال، فعن أبي ذر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الرحمة تواجهه فلا يمسح الحصى". [1]

2 – يمنع التخصر في الصلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاختصار في الصلاة". [2]

3 – يحسن أن ينظر المصلي أمامه وفي مكان سجوده، وليس من أدب الصلاة رفع البصر إلى السماء أو الصور لئلا يتلهى، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لينتهين أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم". [3]

وعن أنس قال: كان قرام – ستار رقيق – لعائشة سترت به جانب بيتها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: "أميطي قرامكِ فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي". [4]

4 – ليس من آداب الصلاة التلثم أو تغطية الفم أثناء الصلاة، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السدل – إطالة الثوب حتى الأرض – وأن يغطي الرجل فاه". [5]

5 – يستحب رفع اليدين حذو المنكبين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع منه وعند القيام من التشهد الأول لحديث سالم عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه

[1] رواه أحمد وأصحاب السنن.
[2] رواه أبو داود وقال: يعني يضع يده على خاصرته.
[3] رواه أحمد ومسلم والنسائي.
[4] رواه البخاري.
[5] رواه الخمسة والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي منكبيه، وقبل أن يركع، وإذا رفع من الركوع، ولا يرفعها بين السجدتين.[6]

6 – وجوب قراءة الفاتحة، وأنها متعينة لا يجزي غيرها إلا لعاجز عنها، فعن عبادة بن صامت يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب".[7]

7 – استحباب وضع اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام ويجعلهما على صدره، فعن وائل بن حجر أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه حين دخل في الصلاة كبّر، وصف همام حيل أذنيه ثم التحف بثوبه، ثم وضع يده اليمنى على اليسرى".[8] الحديث.

وفي وضع اليمين على الشمال على الصدر أحاديث كثيرة جياد رواها أئمة الحديث المتقنون العادلون الثقات، منها حديث وائل بن حجر قال: "صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره". رواه ابن خزيمة[9]

وأما حديث علي رضي الله عنه أنه قال: "من السنة في الصلاة وضع الأكف على الأكف تحت السرة فضعيف متفق على تضعيفه رواه الدار قطني والبيهقي من رواية أبي شيبة، عبدالرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف بالاتفاق".[10]

9 – وجوب متابعة المأموم لإمامه في التكبير والقيام والقعود والركوع والسجود وكذا في الأفعال الظاهرة كلها، فعن أنس بن مالك يقول: سقط النبي صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الأيمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة، فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا، فلما قضى الصلاة قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا فإذا كبّر فكبروا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا رفع فارفعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا صلى قاعدا فصلوا قعودا أجمعون".[11]

10 – إن السنة لمن نابه شيء في صلاته كإعلام من يستأذن عليه وتنبيه الإمام وغير ذلك أن يسبّح فيقول: "سبحان الله" و أن يصفق وهو التصفيح إن كان امرأة فتضرب بطن كفها الأيمن على ظهر كفها الأيسر، ولا تضرب بطن كف على بطن كف على وجه اللعب واللهو،

---

[6] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين الخ.
[7] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[8] روه مسلم في كتاب الصلاة.
[9] شرح صحيح مسلم للنووي 173.
[10] شرح صحيح مسلم ص 173 .
[11] رواه مسلم في كتاب الصلاة.

فعلت هكذا على جهة اللعب بطلت صلاتها، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نابه شيء في صلاته فليسبح فإنه إذا سبّح التفت إليه، وانما التصفيح للنساء".[12]

11 – يحرم سبق الإمام بركوع أو سجود أو قيام أو انصراف ونحو ذلك لحديث أنس قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال: أيها الناس! إني إمامكم، فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف"[13] الحديث.

12 – أن تسوى الصفوف وتقام، وأن يلي الإمام أولو الأحلام والنُهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فعن أبي مسعود قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول: استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنُهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم".[14]

دل هذا الحديث النبوي الشريف على أن تسوية الصف من تمام الصلاة.

قال النووي: "في هذا الحديث تقديم الأفضل فالأفضل إلى الإمام، لأنه أولى بالإكرام، ولأنه ربما احتاج الإمام إلى استخلاف فيكون هو أولى، ولأنه يتفطن لتنبيه الإمام على السهو ما لا يتفطن له غيره، وليضبطوا صفه الصلاة ويحفظوها وينقلوها ويعلموها الناس، وليقتدى بأفعالهم من ورائهم، ولا يختص هذا التقديم بالصلاة، بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس كمجالس العلم والقضاء والذكر والمشاورة ومواقف القتال وإمامة الصلاة، والتدريس والإفتاء وإسماع الحديث ونحوها، ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم والدين والعقل والشرف والسن".[15]

13 – يحسن بالإمام أن يخفف الصلاة في تمام، لحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء".[16]

14 – لا بأس بصلاة المفترض خلف المتنفل لحديث جابر بن عبد الله قال: "كان معاذ يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء، ثم يأتي مسجد قومه فيصلي بهم".[17]

---

[12] رواه مسلم في كتاب الصلاة عن سهل بن الساعدي.
[13] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[14] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[15] شرح صحيح مسلم ص 181.
[16] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[17] رواه مسلم في كتاب الصلاة.

قال النووي: في هذا الحديث صلاة المفترض خلف المتنفل لأن معاذا كان يصلي الفريضة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسقط فرضه ثم يصلي مرة ثانية بقومه هي له تطوع ولهم فريضة، وقد جاء هكذا مصرحا به في غيرمسلم، وهذا جائز عند الشافعي رحمه الله تعالى وآخرين، ولم يجزه ربيعة ومالك وأبوحنيفة رحمهم الله تعالى، والكوفيون تأولوا حديث معاذ رضي الله عنه على أنه كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم تنفلا، ومنهم من تأوله على أنه لم يعلم به النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من قال: حديث معاذ كان في أول الأمر ثم نُسخ، وكل هذه التأويلات دعاوي لا أصل لها فلا يترك ظاهر الحديث". [18]

15 – يستحب لكل مصل من إمام ومأموم ومنفرد أن يقول عند القيام من الركوع "سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، ويجمع بينهما فيكون قوله سمع الله لمن حمده في حال ارتفاعه وقوله: ربنا لك الحمد في حال اعتداله لقوله صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي". رواه البخاري [19]

16 – ليس من الأدب أن يقرأ القرآن في الركوع والسجود، بل الأدب أن يُسبّح ويُنزّه ويمجّد فيه، عن علي رضي الله عنه قال: "نهاني حبي أن أقرأ راكعا أو ساجدا". [20]

17 – ليس من آداب الصلاة أن يكف الرجل شعره أو ثيابه، أو يعقص رأسه في الصلاة، عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، ولا أكف ثوبا ولا شعرا". [21]

18 – يكره أن يلصق الرجل إليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض كما يفرش الكلب وغيره من السباع، ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع.[22] الحديث.

19 – الاهتمام بالسترة بين يدي المصلى، وإن أقل السترة مؤخرة الرحل وهي قدر عظم الذراع وهو نحو ثلثي ذراع. فعن موسى بن طلحة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله

---

[18] شرح صحيح مسلم ص 187.
[19] شرح صحيح مسلم ص 190.
[20] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[21] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[22] رواه مسلم في كتاب الصلاة.

عليه وسلم: "إذا وضع أحدكم بين يديه مثل مؤخرة الرحل فليصل ولا يبال من مر وراء ذلك.[23]

20 – جواز الصلاة في ثوب واحد إذا كان على العاتق شيء. عن عمر بن أبي سلمة قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ثوب واحد ملتحفا به مخالفا بين طرفيه. زاد عيسى بن حماد في روايته، قال: على منكبيه.[24]

21 – تحريم الكلام في الصلاة سواء كان لحاجة أو غيرها، وسواء كان لمصلحة أو غيرها، فإن احتاج إلى تنبيه أو إذن لداخل ونحوه سبّح إن كان رجلا، وصفقت إن كانت امرأة.

فعن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: "وقوموا لله قانتين" فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام".[25]

كما ليس من أدب الصلاة تشميت العاطس لحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: "يرحمك الله" فرماني القوم بأبصارهم فقلت: "واثكل أمياه" ما شأنكم تنظرون إليّ فجعلوا يضربون أيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتوني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي وهو أمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، ثم قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[26] الحديث.

22 – ليس من الأدب أن يبزق المصلي بين يديه وعن يمينه، فإن احتاج إلى ذلك فليبزق في ثوبه أو عن يساره تحت قدمه اليسرى. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في قبلة المسجد فحكها بحصاة ثم نهى أن يبزق الرجل عن يمينه أو أمامه، ولكن يبزق عن يساره تحت قدمه اليسرى".[27]

23 – جواز الصلاة في النعال والخفاف ما لم يتحقق عليها نجاسة. عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد قال: قلت لأنس بن مالك أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في النعلين قال: نعم.[28]

(يتبع)

***

[23] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[24] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[25] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[26] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[27] رواه مسلم في كتاب الصلاة.
[28] رواه مسلم في كتاب الصلاة.

ركن الطلاب:

وحدة الأمة في ضوء الكتاب والسنة

عبيد الله الباقي عبد السلام
السنة الأولى للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

إن الوحدة هي سبب كبير لتحقيق الألفة، وتشييع المحبة، وذريعة قوية لتثبيت المودة، وتعميم الأخوة، وأساس مشيد للتقدم الفردي والاجتماعي، بل هي قوة متجددة لأتباع خير الأنام، وسلاح مخيف لأعداء الإسلام.

فالإسلام قد أعطى هذا الأمر حظه الاهتمام البالغ، وعني به عناية عظيمة، ونظر إليه بعين الاعتناء والاعتبار.

إخواني في الدين! أنتم تعلمون أن الدنيا كان يضطرب مركبها على غمار الشهوات، وتتمايل سفينتها على بحار الأهواء، وألقت المادية والأنانية والوحشية مخالبها على المجتمع البشري، فلا يتزحزح ولا يتململ.

فالله تبارك وتعالى قد أحسن إلى هذه البشرية الهامدة الخامدة، حيث أنه بعث محمدا عليه الصلاة والسلام بشيرا ونذيرا، وهاديا وسراجا منيرا، ففعلت شخصيته الكاملة ودعوته الحسنة في نفوس رويت بالدماء، ونغلت بالعداء، وعاشت على الفرقة، حتى أخذ بحجز الإنسانية الراكضة إلى النار المتساقطة في الهاوية، وأنقذها بتأييد ربه وتوفيقه من هذه الشقاوة التي ما بعدها شقاوة، والخسارة التي ما بعدها خسارة !!

وألفهم على المودة، وأجمعهم على الوحدة، ثم جعل لهم من كتاب الله نورا باهرا، ومن سنته دستورا كاملا.

وأعلن أمام البشرية المتكالبة على الفسوق، والمتناحرة على العصيان، والمتفانية في المعاصي. ألا ! إن ربكم واحد، ورسولكم واحد، ودينكم واحد، وكتابكم واحد، وكلمتكم واحدة، بل إنكم أمة واحدة. (إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون) [1] فإذا المؤمنون إخوة وهم كالبنيان يشد بعضه بعضا. "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا". [2]

---

[1] الأنبياء: 92 .
[2] البخاري: 6026، ومسلم: 2585 .

إخواني في الدين! نحن أمة مسلمة !! ومن خصائصنا العالية أننا نعتصم بحبل الله جميعا، ومن ميزاتنا السامية أننا نتمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

ونحن أمة محمدية !! وظيفتنا الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله عزوجل: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [3] ونحن أمة واحدة !! ومهمتنا الاتباع لا الابتداع، قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم). [4]

إن اتباع السُبل المختلفة هو الطريق للاختلاف، واتباع سبيل الله هو الطريق للاتفاق. قال تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) [5] وكذلك إن التوحيد سبب الاتفاق حتى في الفروع، وأن كلمة التوحيد الطيبة أصلها في الأرض وفرعها في السماء وتؤتي الخير في كل حين بإذن ربها.

فلتكن صفوفنا واحدة كأنها بنيان مرصوص، وأجسامنا كالجسد الواحد في التواد والتراحم والتعاطف إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". [6] ولا نحمل بين جوانحنا لأحد من إخواننا المسلمين حقدا ولا غلا ولا حسدا ولا بغضا، قال تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) [7] وتستبعد عن النفاق والشقاق، وسوء الأدب والأخلاق، ونهتم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) [8] ونلتزم بالنصيحة لأعزائنا وأقربائنا بل لجميع إخواننا المسلمين. عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم". [9]

[3] آل عمران: 104 .
[4] آل عمران: 31 .
[5] الأنعام: 153 .
[6] مسلم: 2586.
[7] الحشر: 10 .
[8] النحل: 125 .
[9] مسلم: 55.

إخواني في الدين ! إن هذه الوحدة مفتاح لكل خير، ومغلاق لكل شر، وبهذه النعمة غلب المسلمون الموحدون على المشركين، وبهذه الحسنة انتصر المسلمون المصلحون على أعداء الدين ! !

ولكن مما يدعو إلى الأسف الشديد والقلق البالغ أننا قد مزقنا جمعنا، وشتتنا شملنا في عصرنا الحاضر، حتى تفرقنا، وانتشرنا في فرق وجماعات، فيا شقاوتنا ويا حسرتا على أمة، ربُّها واحد، ورسولها واحد، ودينها واحد، وكتابها واحد، وكلمتها واحدة، ولكن الآن هي ممزقة متقاتلة متباغضة متحاسدة متشتة تداعى عليها الأعداء إلا من رحم الله، وصدق الله العظيم حيث قال: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا، إن الله مع الصابرين). [10]

فلماذا لا نتفكر ولا نتدبر ؟ ألا نرى أن المعاندين والمخالفين والمحاربين للإسلام يشتغلون في توحيد صفوفهم، وشد أزرهم، وإحكام جمعهم ضد المسلمين ؟! !

فإلى متى ننام ملء جفوننا على فراش الجمود والتعطل ؟ وإلى متى نستريح في أحضان التكاسل والتهاون ؟ وإلى أين نذهب ؟ ولماذا نذهب ؟ وعندنا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا). [11]

والله نحن في أشد الحاجة إلى النظر في العوامل التي تولد الوحدة والاتحاد والائتلاف.

أحبتي في الدين ! فليكن تقوى الله عز وجل غايتنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا، ولنزين قلوبنا بالتواضع واللين، والصدق والورع، ونتصف أنفسنا بصفاء القلب وسلامة الصدر، كما يجب أن نشيع المحبة والألفة، والمودة والأخوة بين صفوفنا، ونخمد نار الفتن ونقلّم أغصان الفرقة، اللهم احفظنا من الأخلاق التي تسبب الفرقة والخصام، وأرشدنا إلى سبيل الوحدة والوئام ! !

ولنحذر اللمز والتنابز بالألقاب، والإثم والفسوق والظلم لأنها تسبب الاختلاف والفرقة والنزاع، وقال تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد

---

[10] الأنفال: 46 .
[11] النساء: 59 .

الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) [12] وقال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [13] وتجتنب التنازع والبغي، قال تعالى: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا، إن الله مع الصابرين) [14] وقال تعالى: (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم، ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب) [15] وتجتنب الكذب وسوء الظن، والله تبارك وتعالى قال: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) [16] كما تجتنب الغلظة بالقول، وسوء الحديث والغضب، والقسوة، قال جل وعلا: (فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين) [17] ونحذر المكر والنجوى بالإثم والعدوان، ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وقال جل سبحانه وتعالى: (وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) [18] وقال تعالى: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) [19] نبتعد عن التعاون على الإثم والعدوان، قال جل شأنه: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله، إن الله شديد العقاب). [20]

وإن الأمر الذي لا مراء فيه هو أن الفرقة جعلت تترعرع بها كثير من الأخلاق السيئة، والعادات القبيحة في المجتمع البشري، فعلينا أن نجتنبها كل الاجتناب لأن سهامها لا تخطيء .

فيا أيها الإخوة الكرام ! فلنتذكر أننا شهداء الله على خلقه، والمسؤولون أمامه عن ذلك، فتعالوا إلى أن نعتصم بحبل الله المتين، ونتمسك بالعروة الوثقى، ونشد صفوفنا، ونقوي جمعنا، حتى نرغم أنف الشيطان ونغير وجه الزمان.

والله ولي التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان.

***

[12] الحجرات: 12 .
[13] البقرة: 143 .
[14] الأنفال: 46.
[15] آل عمران: 19 .
[16] الحجرات: 12 .
[17] آل عمران: 159 .
[18] الأنعام: 123 .
[19] المجادلة: 8 .
[20] المائدة: 2 .